هل سقط الإله؟

هل سقط الإله؟

سامية أبو زيد

تدقيق لغوي : سامية أبو زيد

غلاف : محمد كامل

رقم الإيداع : ٢٠١٢/٢١٧٢٢

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٤٨٨- ١٧٥- ٦

دار اكتب للنشر والتوزيع

OKTOB.NET

الإدارة : ١٠ ش عبد الهادي الطحان من ش الشيخ منصور، المرج الغربية، القاهرة .

المدير العام : يحيى هاشم

هاتف : ٠١١١٠٦٢٢١٠٣ - ٠١١٤٧٦٣٣٢٦٨

مكتبة اكتب : ٤٠ ش أحمد قاسم جودة من ش عباس العقاد ، خلف سيراميكا كليوباترا ، القاهرة .

هاتف : ٠١١١٤٣٢٨٥٢٥

E – mail :daroktob١@yahoo.com

Facebook : دار اكتب للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى ، ٢٠١٢م

هل سقط الإله؟

سامية أبو زيد



دار اكتب للنشر والتوزيع

إهداء

إليـها.. تلك الحبّالة الولادة

مقدمة

بعد ثمانية عشر يوما من المرابطة فى ميدان التحرير، ألقى عمر سليمان البيان التاريخى فى الحادى عشر من فبراير ٢٠١١، لتنطلق الحناجر هاتفة الله أكبر وينفجر الهتاف الشهير "ارفع راسك فوق انت مصرى".

فى ذلك اليوم الشتوى انطلقت بالبيجامة وفوقها معطف يخفيها نحو ميدان التحرير للاحتفال مع الجماهير التى أسكرتها الفرحة، وكما الحج والعمرة.. كان الحج فى ميدان التحرير والاعتمار فى "دار ميريت" التى اكتظت بالثوار الذين كانوا يأوون إليها حيث يحتضنهم محمد هاشم.

مازلت أذكر أول فجر يشرق علينا بلا مبارك رئيسا بعد ثلاثين سنة، وأقول لنفسى "هل سقط الإله"؟

الحق أنه لم يسقط بعد، فأعوانه وأذنابه والمنتفعون من نظامه العفن مازالوا يعملون أظفارهم وأنيابهم فى كل الشرفاء قتلا وتشهيرا... بيد أنه كما أن الثورة لم تنته بعد، فإن النضال لم يبدأ فى الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١، ولا حتى بوقفة خالد سعيد التى انطلقت من الأسكندرية فى جميع ربوع مصر ومعها

الكثير من المتضامنين على مستوى العالم، ولا حتى بإضـــراب ٦ ابريل المتضامن مع عمال المحلة، ولا بحركة كفاية ومـــن بعـــدها الجمعية الوطنية للتغيير.

الحقيقة أن النضال المصرى لم يتوقف طيلة القرن الماضى، هو مد ثورى واحد يشهد موجات متتابعة منذ عرابى ومن بعده ثورة ١٩١٩ وحتى يومنا هذا.

لهذا أعود وأتسائل... هل سقط الإله؟

الكتابة على الهواء .. وسحر الورق

بعد حوالى خمس سنوات متصلة من الكتابة فى صفحة الرأى بجريدة الأخبار، قمت بمغامرة الكتابة على الهواء على سبيل التجربة، وذلك بسبب ما جبلت عليه من حب الاستطلاع وزادته قوة، دراستى العلمية التى تعتمد بالأساس على التجربة والمشاهدة والاستنتاج، فكان أن ارتميت فى محيط شاسع اسمه المنتديات الثقافية والتى تنتشر بصورة كبيرة وفى تنام مستمر. وقد خرجت منها مؤخرا بعد أن أحصيت النتائج المترتبة على مشاهداتى فى تلك التجربة التى استمرت طيلة عامين فى أكثر من منتدى، وهاك خلاصة تلك التجربة كى لا نغض الطرف عن عنصر بات شديد التأثير فى المشهد الثقافى.

أعضاء وأرقام :

تتفاوت المواقع الأدبية والمنتديات وتكتسب ثقلها وفقا لعدة عوامل على رأسها عدد الأعضاء الكلى وعدد الأعضاء النشطين به، فقد تجد منتدى يضم خمسة آلاف عضو لكنه فى حقيقة الأمر يقوم على أكتاف ما لايزيد عن الثلاثين عضوا، مما يجعل انقطاع

عضو منهم عن المشاركة حدثا يسبب خللا فى حركـــة الموقـــع ويصيبه بالركود وقد يصاب بالانهيار .

ويكتسب العضو مكانته تبعا لعدد المشاهدات أى الزيـــارات وكذا عدد مشاركات الأعضاء الآخرين أى ردودهـــم علـــى موضوعه سواء كان قصة أو شعرا أو نثرا أدبيا يسمونه الخاطرة إلخ .. وهذا يقودنا إلى ظاهرة أخرى سوف نتطـــرق إليهـــا فى حينها. ويبقى الكلام عن محركات البحـــث ـــ مثـــل قوقـــل Googleوخلافه ـــ باعتبارها من مؤشرات نجـــاح الموقـــع، فكلما ظهر الموقع فى الصفحات الأولى لمحرك البحث كلما كان ذلك دليلا على نجاح الموقع وانتشاره .

أعضاء ومستخدمون :

من الظواهر المثيرة للعجب فى بعض المواقع تعدد المستخدمين للعضو الواحد، فقد يسجل العضو تارة بشخصية رجل وتـــارة أخرى بشخصية فتاة أو امرأة، وأحيانا يكون ذلك بفعل الإدارة نفسها التى تريد تضخيم عدد الأعضاء للوصول لمحركات البحث المذكورة بأيسر السبل وأسرعها، ولكن مع الوقت يتم انكشاف المخبوء ويفقد الموقع احترامه ومصداقيته، بيد أن المقلق فى الأمر ليس فى المواقع وإنما فى المستخدمين. فالمواقع التى تبتغى اكتساب سمعة طيبة، تحترز لهذا الأمر وتراقـــب مـــا يعـــرف بـــال IP

للمستخدمين وتوقف العضو الذى يثبت عليه التسجيل بأكثر من اسم (مستخدم) ولكن هيهات، فقد يحدث أن يختلف عضو مـــا مع الإدارة ويتم إيقافه فيظل يسجل بعدة أسماء وهمية ويعيث فى الموقع فسادا، وتظل الإدارة فى حالة استنفار دائمة لمحو تجاوزات العضو، وينتهى الأمر بغلبة البلطجة وينهار الموقـــع أو ترضـــخ الإدارة وترفع الحظر عن العضو المهووس .

والقول بأنه مهووس ليس من قبيل المبالغة، فالبعض قد أصبح شغله الشاغل المنتديات ولا غنى له عنها .

هوس المنتديات وخداع النفس :

تلك الشخصيات المتهوسة لا يقتصر هوسها على التسجيل فى أكبر عدد ممكن من المنتديات والبقاء أمام الشاشة ليل نهار، بـــل يصبح الأمر حالة من الخبل وخداع الـــنفس، فتجـــد العـــضو المذكور يسجل كما أسلفنا بأكثر من اسم ومن ثم يبدأ فى مدح أعماله باعتباره شخصا آخر، ويكيل المديح لنفسه ويثنى علـــى عبقريته وشاعريته الفذة، ويبقى موضوعه فى الـــصفحات الأولى دائما، بل وقد يصل به الأمر إلى ما يشبه الفـــصام فيـــدخل فى صراع مع نفسه حول كلمة ما لينتصر فى النهاية لعمله المعروض. ولا يهمه فى ذلك الوقت سوى أن يرفع من عـــدد مـــشاهداته وعدد الزيارات ولفت أنظار الأعضاء الآخرين الذين يلتقطـــون

الطعم ويبدأون فى التعليق والمشاركة ويصل بالتالى لمآربه وهو لفت الأنظار بأى ثمن .

لصوص الكلمات :

ومن أوجه الهوس المختلفة وخداع النفس قبل خداع الآخرين، انتشار لصوص الكلمات، الذين يسطون على أعمال أعضاء آخرين فى منتديات أخرى وينسبونها لأنفسهم ويقومون بالرد على معجبيهم بصفاقة مدهشة. ومن أعجب ما مر بي فى هذا الباب، تلك الواقعة التى قام فيها عضو بالسطو على شعر عضو آخر فى موقع مختلف وحاول التذاكى بتغيير بعض الكلمات، إلى هنا والسرقة على قدر من الذكاء، لكن يبدو أنه كان ذكاء مؤقتا، إذ لم يكتف بالسطو على العمل الأصلى، بل قام كذلك بالسطو على ردود صاحب العمل رغم ابتعادها كل البعد عن الكلام الدائر فى متصفحه!! ولولا قيام صاحب العمل الأصلى بالتسجيل فى المنتدى دفاعا عن كلماته وفضحاً لذلك العضو، لما انكشف أمره رغم الريبة التى وقعت فى نفوس البعض للتفاوت البين بين القصيدة المسروقة ولغة العضو المعروفة لدى سائر الأعضاء .

كذلك حالة أحد هؤلاء اللصوص الذى مارس لصوصيته بغباء قل أن ترى مثله، إذ كان يقوم بالسطو على كل ما يروق له وينقله كما هو بأخطائه، وما كشف أمره التفاوت المذكور،

فتارة تجد له قصيدة بالفصحى موزونة مقفاة وتتمتع بلغة فصيحة بليغة، وتارة أخرى ترى له "قصيدة" لا تنتمى لعالم الشعر ولا إلى اللغة العربية إن شئت الصدق، والأدهى من هذا وذاك "إبداعاته" فى الشعر العامى، فحينا يقوم بالسطو على قصيدة بالعامية المصرية وحينا آخر يقوم بالسطو على قصيدة من الشعر النبطى، والكل يهلل ويصفق ولا يدرى ما الأمر ولكن إلى حين، إذ سرعان ما افتضح أمره وتم إيقافه. ومن المؤكد أن مثل هذا المسلك إنما ينتج عن صعوبة المتابعة فى المقام الأول وكذلك نتيجة لعدم معرفة الكثيرين بالشعر ومدارسه المتعددة، بل وعدم معرفتهم فى بعض الأحيان باللغة العربية السليمة نفسها .

قنطار خشب ودرهم حلاوة :

بين المكرر والمنقول والمسروق تطول رحلة البحث عن موضوع يستحق القراءة، أى كما يقال فى المثل العامى " زى الخروب قنطار خشب ودرهم حلاوة". والخشب هاهنا يتم حرقه، وأعنى به الوقت المستهلك فى رحلة البحث، وكما يتلوث الجو ويقل الأوكسوجين لدى احتراق الخشب، كثيرا ما يحترق الوقت فى مطالعة أفكار سطحية والأخطر منها الأفكار المسمومة التى تسعى لبث الفرقة وتدعو للتعصب، مثال ذلك المواقع التى تروج لأفكار دينية ومذهبية وكذلك المواقع التى تعتنق حرية الرأى وشعارات الرأى والرأى المضاد، دون أن تكون هناك

حرية رأى حقيقية وفى غياب الحوار الهادئ العقلانى. بل على العكس من ذلك قد تتربص ببوادر الخصومة وتغض الطرف عن المهاترات التى تدور كى تضمن ارتفاع نسبة المشاهدات والمشاركات. بل قد يصل الأمر أحيانا لافتعال أزمة حتى تنشط موضوعا ما أو تحيى أحد الأقسام المهملة، فلا تتدخل الإدارة إلا بعد خراب مالطة كما يقال، وبعد أن تتجافى النفوس ويحل التربص محل المودة .

حروب المنتديات :

ليس شرطا أن تندلع الفتنة فى الموقع بين الأعضاء الذين يحرصون فى كثير من الأحيان على الإبقاء على المودات والمجاملات بين بعضهم البعض، ولكن قد تأتى الفتنة من الخارج من قبل أطراف تندس فى الموقع وتلقى بسهامها المشتعلة بين صفحات الموقع. وكما يقال فتش عن الدافع، فبعض هذه الأطراف قد يكون عضوا موقوفا وموتورا من المتهوسين المذكورين آنفا، أو من مواقع منافسة والبعض الآخر يكون عميلا لجهة ما سواء مخابراتية أو حزبية أو طائفية، ويظهرون فجأة وتراهم عارفين بالأعضاء وأسمائهم بل ومللهم وتوجهاتهم الفكرية، لذا يبدأون بالضرب بقوة وبعنف، مثال ذلك ما حدث فى أحد المنتديات إبان الحرب اللبنانية الاسرائيلية (صيف ٢٠٠٦) والتفاف بعض القلوب حول حسن نصر الله والشروع

فى ترسيمه بطلا قوميا، فى تلك الفترة بالتحديد ظهر من يجترئ على واحدة من الأعضاء والتى كانت تتمتع باحترام ومحبة الجميع، وأخذ فى الهجوم عليها بقسوة لمجرد أنها شيعية المذهب فى محاولة لبث الفتنة بين السنة والشيعة، فالفتنة بين المسلمين والمسيحيين قد أصبحت موضة قديمة وحيلة مكشوفة والأمضى منها والأفتك هو الصراع المذهبى.

شظايا الكلمات :

تصيب شظايا الكلمات السابحة فى فضاء المنتديات النفوس والقلوب، وكثيرا ما تدميها إما غضبا وحقدا كما أسلفنا، وإما عشقا وهو أمر غير نادر الحدوث. وذلك بفرض أن الشخصيات العاشقة هى شخصيات حقيقية بدون أقنعة زائفة، وأهمها أن يكون الذكر ذكرا فعلا والأنثى أنثى، فترى الكثير من الشخصيات المشاركة تخلق لنفسها اسما مثيرا للخيال وأحيانا تختار سنا تتقمصه وتتبرأ من حالتها الاجتماعية، وأحيانا تتغاضى عن تلك الحالة الاجتماعية وتفتح لكلمات الغزل أبوابها، والأهم من ذلك صندوق الرسائل الخاصة. وتشتد هذه الظاهرة بين صفوف الشعراء والمتشاعرين على وجه الخصوص، فترى أسماء بعينها تتابع موضوعات فلان وتتأوه عقب كل حرف يخطه هذا الفلان أو ذاك، وتبدأ سلسلة من الردود والمجاملات الخارجة عن

أطر النقد الموضوعى لتصبح المسألة مجرد تفنن فى الاستحسان وتفننا أشد فى الرد على تلك المجاملات .
بيد أن الشظايا المتناثرة هنا وهناك لا تكتفى بإصابة القلوب وفتح صناديق الرسائل التى قد تتعرض فى بعض الأحيان للتلصص من قبل بعض الإدارات سرا أو جهرا. فهناك بعض المنتديات الجادة التى تشترط فى لائحتها أن صناديق الرسائل خاضعة للرقابة من قبل الإدارة، ومنتديات أخرى تشترط عددا معينا من المشاركات قبل تفعيل خاصية إرسال وتلقى الرسائل، وغيرها التى ترى فى صندوق الرسائل أمرا شخصيا لا يهم سوى العضو نفسه، ولكن الأمر لا يقتصر على صناديق الرسائل بل يمتد لمناطق أخرى مكشوفة وظاهرة للعيان، سواء فى الردود أو فيما يعرف بالبوح أوالهمسات إلخ .. من المسميات لصفحة تفتح وتتحول لساحة للدردشة، وهى ظاهرة متفشية فى منتديات كثيرة .

بوح وهمسات ومشاحنات

مع ميلاد تلك الصفحة الحرة، وتحت شعار الفضفضة يبدأ الموقع فى الانهيار، وذلك رغم جاذبية تلك الصفحة، بل لعل السبب فى ذلك هو جاذبيتها. فهى تبدأ بهمسات بوح محببة وجميلة وتتيح للأعضاء التقارب وتكوين صداقات فيما بينهم، فيدخل الصفحة من يريد إزاحة كلمات جاثمة على قلبه، ولكن

مع الوقت يبدأ الآخرون فى متابعة بعضهم البعض، ومحاولة استشفاف ما وراء البوح من باب الفضول وحب الاستطلاع، فهذا فى حالة حب وذاك يرمى بسهامه نحو العضو الفلانى، ويتحسس رأسه كل ذى "بطحة" ومن ثم يبدأ فى الرد المستتر، ثم يبدأ الغمز واللمز وهى تربة خصبة للشائعات والمشاحنات التى تتحول فى بعض الأحيان إلى معارك حامية الوطيس، وينسون فى غمار تلك المشاحنات والمحاسبات على تلك الكلمات التى يقولون إنهم إنما يكتبونها لأنفسهم، أنهم أسقطوا خصوصياتهم وأعطوا الآخرين حقا لم يكن لديهم. إذ لم يجبرهم أحد على هذا البوح، ولا يفترض بالآخرين العمى، فالكلمات مكتوبة ومتاحة للجميع وحق التأويل مكفول إما بالسلب أو الإيجاب، وحين يضيق بهم المكان ينطلقون إلى فضائهم الخاص المعروف بالماسينجر، حيث الكلام بحرية أكبر ومن هنا تبدأ الشللية فى التفاقم وتبدأ بقية الأقسام فى الركود حتى يصاب الجميع بالملل من القيل والقال فيتم البحث عن بديل .

تسالى ... تسالى :

بعد إصابة الموقع المذكور بالركود يتفتق ذهن واحد من الأعضاء عن حل عاجل لتنشيط الموقع، فيقوم بنشر لعبة ما ويدعو الأعضاء للمشاركة فيها، فترى نشاطا وإقبالا على الموقع بعد الرتابة التى كان يعانى منها. ولكنه نشاط هستيرى أشبه

بفورة النشاط لدى متعاطى المخدرات ومن ثم العودة إلى الخمول والركود. ومثلما يفتش المتعاطى عن صنف جديد أو يرفع من جرعة المخدر كى يستعيد الحالة المنتعشة التى كان يمنحها له المخدر، تجد المنافسة بين الأعضاء وقد احتدمت لا فى اللعبة الواحدة فحسب، بل وفى ابتكار ونقل الألعاب من المواقع الأخرى بتعديل أو بدون تعديل. وهو أمر ليس شرا كله، فبعضها يعتمد على الذكاء وينشط الذهن ويضيف إلى العضو المتعة مع الفائدة، منها الألعاب التى تعتمد على اللغة أو تتمة بيت من الشعر، أو صاحب قول مأثور إلخ، أما الشر كله فيكمن فى تلك الألعاب التى تعتمد على المشاركة وحسب، دون أية فائدة للعضو أو الموقع سوى استهلاك الوقت ورفع المشاهدات، من عينة لعبة المسدس، فمن يصل لرقم معين يصبح معه المسدس الوهمى ويقتل به من يشاء من الأعضاء، وفى تلك الحالة يبدأ السقوط الذى لا قيام بعده للموقع، حيث يبدأ فى فقدان الأعضاء الجادين ولا يبقى سوى غثاء السيل .

ومما سبق نجد أن الهدف من تلك المنتديات "الثقافية" قد سقط فى الطريق وأنها اتخذت منحى آخر حسب هوى الأعضاء وهو التسلية وقتل الوقت .

صعود وهبوط وهجرات :

مثل الدول تماما تبدأ رحلة المنتديات وتأخذ نفس دورهـا فى الصعود والتمدد ثم الانهيار. ومثلـها أيـضا فى الثـورات وفى الأحلام، إذ تجد بعض الذين اجتمعت قلوبهم حول فكـرة مـا يحلمون بيوتوبيا فضائية فيسعون لتحقيق الحلـم، وإن هـى إلا بضعة ترتيبات ومساحة على الشبكة العنكبوتية وبضعة دعوات لمن يتوسمون فيه الخير حتى يبزغ نجم جديد فى عـالم المنتـديات، فيتسامع به الناس ويبدأون فى التوافد عليه، فيبدأ صـغيرا مثـل دولة فتية حين تعلن استقلالها عن امبراطورية منـهارة أصـابها الوهن، فتجد من يؤازرها ويدعمها من أنصار الكلمة "الحرة" والمبادئ النبيلة، وكذلك من يحاربها ويرسل جواسيسه فى أثرهـا يندسون بين الأعضاء حتى يحين الوقـت لتوجيـه ضـرباهم. ويحدث أن يتغير ولاء البعض وينخرط بصدق فى هـذا المجتمـع الفتى النضر بكل رونقه، فترى هجرة من المنتديات التى شاخت وأصابها الوهن إلى تلك المنتديات الفتية، التى تبـدأ فى التوسـع والتألق وجذب الأنظار بعد أن يتسامع الناس بالنجـاح الـذى حققته تلك المنتديات، ولكن ....

مثل الدول تماما والامبراطوريات الكبيرة، يأتى الانهيار دائما من الداخل، فإلى جانب ما ذكرناه آنفا مـن عوامـل انهيـار المنتديات، نجد عاملا آخر شـديد الأهميـة بخـلاف الـشللية

والأحزاب إلخ .. هذا العامل يتمثل فى الاستبداد الذى يكون وليد النفاق وبالتالى ظهـور ذوى المـصالح وذوى الأهـواء، والطامعين والمتسلقين لنجاح الموقع.

ومن ثم تبدأ الإدارة فى الافتتان بنجاحها فتقع فى فخ الانفراد بالرأى، أو على العكس من ذلك انعدام الرأى ويصبح جل همها عدم فقدان عضو من الأعضاء ظنا منها أنها تبقى على الأعـضاء الذين تعبت فى جمعهم، ليصبح المنطق السائد "الزبون دائما على حق"، فتعجز بالتالى عن إرضاء الجميع لتبدأ رحلة الانهيار.

فترى على الحالين استبدادا إما من الإدارة أو من الأعـضاء دونما تناغم حقيقى وممارسة حقيقية لحلم الديموقراطية والكلمـة الحرة.

الحرية وحق الكلمة

مما لا شك فيه أن الكثير من المواقع والمدونات وما شئت من المسميات المنتشرة عبر تلك الشبكة الهائلة، قـد أذكـت روح القول بلا خوف فصارت متنفسا لا يحده سـقف رغـم أنـف الأنظمة. وهى قضية بذاتها، أعنى حرية التعبير وخاصة فيما يتعلق بالشئون السياسية والداخلية فى أى مكان، ولكن هل هناك حرية تعبير بالفعل؟ وهل تمارس بالشكل الـصحيح؟ أم أنهـا شـكل عشوائى من البوح لا أكثر؟؟

ويثور تساؤل ألا وهو، هل نحن على مستوى هذه الحريـــة؟ وفى المقابل تنهمر الأجوبة بين النفى والتأكيد، لكن كل ذلك لا يعنينا فى المشهد الثقافى الذى نحن بصدده إلا بقدر، كبر أو صغر، اشتد أو ضعف، فما يهمنا حقا هـــو شـــكل هـــذا التـــأثير . فقد تجد فى أحد المواقع موضوعا يتسم بالجرأة سواء كان سياسيا أو دينيا أو أدبيا، من عينة الجدل حول الشعر ومدارسه الخ... أو قصة تحوى مشاهد ساخنة لا تزيد كثيرا أو قليلا عما هو مطروح فى الأسواق بل ويحصد الجوائز فى بعض الأحيان. وبعد، تجد أن الحرية التى تأملت أن تجدها تصطدم بمقص لا يختلف كثيرا عـــن مقصات الرقباء المعروفة، فمقص الرقيب قد يحذف جـــزءا مـــن العمل أو يصادر العمل كله ولكن الجمهور يتحـــداه ويتـــداول العمل الأصلى سرا سواء فى حـــالات النـــشر أو فى الأعمـــال الدرامية، أما فى المنتديات فيتم حذف العمل بأكمله، وقد يكون الحذف متعسفا وخاضعا لهوى شخصى لا علاقة لـــه بـــاحترام الكلمة ولا القارئ .

وفى أحوال أخرى قد لا يكون الحذف بفعـــل الإدارة الـــتى أسكرها عبارات النفاق التى يتطوع بها البعض والسلطة الوهمية التى تمارسها فى تلك المملكة الصغيرة ، بل يكون بفعل صـــاحب العمل نفسه لسبب أو لآخر، منها على الأرجح الخـــلاف مـــع بعض الأعضاء، وهاهنا يبرز تساؤل عن "حق الكلمة" وهـــل

هى من حق المبدع أم المتلقى أم الوسيط أى وسـيلة النـشر؟ وفى ظنى أن الكلمة ما إن خرجت للنور تصبح كالوليـد قتلـه حرام حتى وإن كان مشوها أو نغلا فله حق البقاء، فهى قبل أن تخرج للنور تظل من حق المبدع وحده كالجنين تماما، ولكن ما إن اكتمل وخرج للنور فلا يحق لأحد قتله تحت أية مسميات. ولكن هل تقف حدود الحرية عند القول فحسب؟

لغة جديدة ... قديمة

لا ينقطع الجدال عن الحرية ومفهومها وممارستها، وتمتد هذه الحرية لتصيب اللغة وقواعدها المعروفة، فترى انتـشارا هـائلا للكتابة بالعامية، ولا يقتصر الأمر على الشعر العامى بل يمتد لعالم القصة والنثر والمقالات، كما يندر أن تكون مداخلات الأعضاء وردودهم بغير العامية أو بغير أخطاء لغوية ويكون العذر الدائم فى تلك الحالة هى العجلة، لكن أن يمتلـئ الموضـوع نفـسه بالأخطاء اللغوية فتلك هى المشكلة. وإذا ما ضيقت الخناق على كاتب من هؤلاء، كان رده أنه إنما يكتب ليعـبر عمـا يجـيش بأعماقه فنقله بصدق وكما شعر به، سواء كان عمله فى قـسم الشعر ومليئا بالكسور والأخطاء اللغوية، أو فى القـصة حيـث يتراوح بين العامية والفصحى دونما ضابط أو رابط وفى سـياق السرد نفسه لا فى الحوار الذى قد يحتمل العامية. وهكذا فـإن

النشر المتاح يجعل كل من يضع حرفا بجوار حرف قادرا على النشر فى ذلك الفضاء المفتوح بل وقد يلاقى التشجيع والاستحسان باعتباره مجددا ومتمردا على القوالب الجامدة ومن أبرز هذه المظاهر انتشار النثر الأدبي المسمى بالخواطر والذى لا يختلف كثيرا عن قصيدة النثر مع ملاحظة أن العديد من المواقع كثيرا ما ترفض هذا اللون الأدبي أى قصيدة النثر ثم تعود وتقبل بالخاطرة عن طيب خاطر، وهذا بالإضافة إلى أن معظم عبارات الاستحسان تصدر ممن يجهلون قواعد وأصول النقد الأدبي .

أما الظاهرة الأشد وضوحا فى تلك المنتديات فهى استخدام الزخرفة لإضفاء رونق على النص وهو أمر محمود، لكنه قد يتجاوز الزخرفة ويتم الاستعانة بالصور المتحركة أو الثابتة والتى تعرف بالإيموشنات، وهى صور صغيرة ومعبرة إلى حد كبير ولكن على حساب النص المجرد، مما يجعل الكلمة فى حالة "ردة لغوية" حيث تعود لصورها البدائية وهى الرسم للتعبير، وإن كان ذلك بتقنية متطورة تجعلها تتحرك. ويكثر استخدام هذه الإيموشنات فى الأعمال المنسوبة للقسم الساخر بوجه خاص .

فن جديد ...

مما سلف نجد أن حسن توظيف الإيموشنات يتفاوت من عضو لآخر، فنرى عملية إخراج مصاحبة للكتابة تجعلها أشبه بالسيناريو والإخراج السينمائى لأفلام الكارتون، ولكن قد

يكون ذلك على حساب الكلمة، وشيئا فشيئا تضعف القـدرة التعبيرية لدى المبدع نظرا لاستسهاله استخدام تلـك الرسـوم المعبرة. ولو جردت النص من تلك الرسوم فقد لا تضحك بنفس القدر أو قد لا تضحك على الإطلاق، وهكذا قد يقبل الـبعض على موضوعات عضو ما لبراعته فى استخدام "الإيموشنات"، وأحيانا قد يتأخر عضو فى تكملة حلقاته الساخرة لكسله عـن إضافتها، فيظل الموضوع مؤجلا حتى تنفـتح شـهيته لوضـع "الإيموشن" المناسب فى المكان المناسب !!

وعلى صعيد آخر يبرز فن جديد لا تجده سـوى فى النـشر الإلكترونى، وهو ما يعرف بالتصميمات، فكما كنا نرى رسوما مصاحبة لقصائد كامل الشناوى وفاروق جويدة فى دواوينـهم، تنتشر فى بعض المنتديات ظاهرة تصميم لوحات معبرة عن الشعر أو الخواطر. وما يميز هذه التصميمات ويكسبها تفـردا، أنهـا متحركة وفى بعض الأحيان تكون مصحوبة بالموسيقى أو إلقـاء الشاعر للقصيدة بصوته، وتعتمد هذه التصميمات علـى عـدة برامج على رأسها الفوتوشوب والكليك وغيرها، وهى أى تلك التصميمات فن بازغ وله فنانوه الذين صارت لهم شـعبيتهم فى عالم الانترنت والتى تكاد تصل إلى درجة النجومية، فنجد بعض الأسماء المتداولة عبر ذلك الفضاء وقد تهافت عليهـا أصـحاب المواقع لمعرفتهم بقدرة أصحابها على اجتذاب الأعضاء .

يميل أصحاب المواقع إلى اجتذاب الكتاب والشعراء ممن لديهم صلة بعالم النشر الورقى ويعتبرونهم مكسبا كبيرا لمواقعهم. هذا إلى جانب البريق الذى يحيط باسم العضو الذى يشير إلى انتمائه لعالم الصحافة، فتجد الترحاب يحيط به وتشمله عين الرعاية من قبل القائمين على الموقع بغض النظر عن مستواه الأدبى وذلك لمجرد أنه متصل بهذه الصحيفة أو تلك أيا ما كانت هذه الصلة، مما يشى بسطوة الورق وسحره لدى كل من يهتم بالثقافة .

ومما يدل على هذه السطوة، تلك الفرحة وذلك الزهو الذى يصيب العضو الذى ينجح فى اختراق عالم الورق وينشر له عمل أدبى فى صحيفة أو مجلة، مما يعنى ميلاد أديب أو شاعر إذ يكون النشر الورقى بمثابة شهادة ميلاد له واعتراف موثق بكيانه الأدبى والذى ينعكس بدوره على الموقع الذى ينتمى إليه .

وهكذا نرى العلاقة التبادلية بين عالم النشر الالكترونى وعالم النشر الورقى، فأهلا بالكتاب وفى الوقت ذاته مرحى لمن يولد على الورق. ومؤخرا حرصت عدة مواقع على إقامة ملتقيات ثقافية كما تحرص بعضها على أن يكون لها إصداراتها الخاصة، فتقوم بعمل المسابقات فى الشعر أو فى القصة وتكون الجائزة هى النشر أو على أقل تقدير المساهمة فى النشر .

كما يقاس نجاح الكاتب وتألقه فى بعض الأحيان بالحرص على ضمه إلى بعض المواقع الأدبية، وكذلك الحرص على نشر أعماله فى مواقع الكتب الإلكترونية، وكثيرا ما يكون له موقعه الخاص وأحيانا يكتفى بمدونة تقربه من جمهوره وتحجز له مكانا فى ذلك الفضاء .

مكتبات فضائية

مما يثرى المواقع ويحسب لها حرصها على تكوين مكتبتها الشاملة وأحيانا المتخصصة التى تمكنك من تحميل ما شئت من الكتب أو الاطلاع عليها، وحبذا لو كان واحدا من الكتب المحظورة أو تلك التى أثير حولها الجدل مثل أولاد حارتنا التى كادت تتسبب يوما ما فى قتل صاحبها الأديب الكبير نجيب محفوظ، ومثل شفرة دافنشى لدان براون وأعمال نجيب سرور وأحمد مطر وغيرها الكثير .

ولكن الخوف الأكبر إزاء هذه المواقع ومكتباتها يتمثل فى عنصر الدقة والمصداقية، إذ يظل الورق أعلى مصداقية من ذلك الفضاء المفتوح والذى لا تدرى أية يد عابثة قد تمتد بالتزوير أو التحريف نحو المعلومة التى تنشدها. فكما تتميز بسهولة الوصول للمعلومة يعيبها سهولة العبث بها لغرض خبيث أو أن توضع ابتداء مشوهة لافتقارها للدقة والجدية، ومع الأسف رأيت خلطا بينا بين الشيخ محمد شاكر الأب وولديه محمود وأحمد شاكر فى

أحد أهم المواقع المتخصصة والتى تصف نفسها بالإسلامية، مما يؤكد المعنى الذى أقصده، وهو عنصر التوثيق والمصداقية .

بين كتابتين ... جمهور

يبقى التعبير عن الذات هو العنصر المشترك فى عالم الكتابة، فمنذ أن بدأ الإنسان فى نقش الحجر وانتهى بالكتابة عبر الأثير، يظل الدافع للكتابة واحدا وهو القول بالوجود والسعى نحو الخلود. فأن تكتب فهذا معناه أنك باق ولو إلى حين ولكنك باق .

غير أن الجمهور يختلف، لا من حيث الذائقة فحسب، ولكن من حيث التلقى والتفاعل مع ما تكتبه. وسبق أن أشرنا لردود الأفعال والمجاملات ولانتشار المهاويس والسفهاء. فالفرق بين الكتابة على الهواء والكتابة فى إصدار ورقى، أشبه ما يكون بالفرق بين العرض المسرحى والعرض السينيمائى، فقد ينجح الفيلم أو يسقط وقد يتناوله النقاد بالثناء أو الهجوم دونما أذى مباشر يصيب القائمين على الفيلم .

أما فى العرض المسرحى فقد ينجح ليلة ويسقط فى ليلة أخرى، لا لخطأ من الممثلين ولكن من الجائز أن يسقط إما لغياب الجمهور، أو لوجود مشاهد مشاغب أو محرض ضد الممثل فتكون النتيجة قذفه بالبيض والطماطم، وذلك لا يدل على

مستوى العرض، بل على نوع التفاعل بين الممثل والجمهور، وكذا هو الحال بالنسبة للكتابة على الهواء. فكم من المبدعين انسحبوا من بعض المواقع إثر تطاولات من سفهاء عليهم، فى حين أن الكاتب فى عالم الورق قد تصله خطابات مهينة وقد تصل إلى حد التهديد أحيانا، ولكن تبقى كرامته محفوظة إلى حد ما لأن الإهانة لم تكن على الملأ .

فلا عجب إذن أن بعض الكتاب ينظرون إلى المشاركة فى المنتديات الثقافية نظرة فوقية، ويعتبرون المشاركة فيها انتقاصا من مكانة الكاتب وأنه بذلك يسلك مسالك الهواة المبتدئين والباحثين عن منبر يحمل كلماهم إلى الناس باستثناء أصحاب المواقع الشخصية والتى يعتبروها تتمة لنجاحهم ككتاب مرموقين .

الفارق الأخير

وأخيرا عزيزى القارئ يبقى فارق واحد بين الكتابتين، ألا وهو حجم المكتوب، حيث يفضل ألا تزيد الموضوعات فى عالم المنتديات عن ثلاثمائة كلمة كى لا يمل المتصفح، فى حين قد تزيد بعض المقالات فى الصحف والمجلات عن الثلاثة آلاف كلمة، وهو أمر شديد العسر على متصفح الانترنت فى كثير من الأحيان

اللهم فى بعض الحالات الاستثنائية وفى المواقـــع المتخصـــصة وشبه المتخصصة.

تلك كانت خلاصة تجربتى فى عالم الكتابـــة علـــى الهـــواء، أطرحها بين يديك على صفحات من الورق ومعها رسالة تحذير للمثقفين والكتاب:

أن انتبهوا فالمشهد الثقافى لم يعد خالصا لكم وحدكم، فهناك كيانات فضائية تقوم بغزو عقول أبنائنا وتؤثر فيها فى كل لحظة، فانتبهوا ولا تنأوا بأنفسكم عن ذلك الميدان.

مجلة وجهات نظر اغسطس ٢٠٠٨

حرصت على نشر هذه الدراسة فى مستهل الكتاب وذلك لما لعبته صفحات الفيسبوك واليوتيوب والتويتر من دور هام فى إنجاح الثورة المصرية فى طلعتـــها الأولى، وكيف أنها أصبحت اعلاما موازيا فى ظل ما عانيناه من تجهيل وتـــضليل اعلامى، وكذلك لما أصبح يمثله الفضاء الاليكترونى من بوابـــة مفتوحـــة علـــى مصراعيها نحو المشهد الثقافى، ولا يخفى على أحد أن التنوير والتثوير إنما يبـــدأ بالمثقفين.

القرية الكونية... المصطلح والمدلول

مع شيوع بعض المصطلحات مثل العولمة والقرية الكونية وأن العالم قد أصبح قرية واحدة، إلى آخر هذه المصطلحات التى يتم تداولها دونما طول تفكير فيها، فاتنا الكثير مما يرمى إليه المصطلح ورسخ فى أعماقنا دونما تبصر بعواقبه.

فلنتأمل قليلا القول بأن العالم قد أصبح قرية صغيرة، ولنضع المصطلح وما يترتب عليه تحت المجهر ولنقم بتحليله علنا نضع يدنا على الداء ومن ثم نفتش عن الدواء.

وبادئ ذى بدء دعونا نطرح سؤالا يطفو على السطح للتأمل، ألا وهو، لم لم يتم نحت مصطلح آخر؟ لم لم نقل إن العالم قد أصبح مدينة واحدة؟؟ ولم تعبير القرية بالتحديد؟ وليس البيت أو الحى؟

قد تتلخص الإجابة فى رفض مصطلح مدينة كبيرة لما يغلب على طبائع المدن وسكانها، فالمدينة تتسم بتعدد المراكز والأحياء، بيد أن أهم ما يميز المدن هو تلك العزلة التى تحيط بسكانها، فلا يعرف الجار شيئا عن جاره، ولا يحفظ أسماء جيرانه ولا وجوههم، بل وقد يجهل اسم الشارع المجاور؛ بعكس القرية التى ما إن يفد إليها غريب حتى يتسامع بمقدمه أهلها، وهى التى لا

يخفى على سكانها خافية إن فى السراء أو فى الضراء، ولذلك فهى تربة خصبة للشائعات، وكما تنتشر النـار فى حقولها تنتشر الأخبار، فتكون بذلك أدق وصفا لحال الأرض من المدينة فى ظل السماوات المفتوحة وثورة الاتصالات، ولكن..

ولكن هذه هى مربط الفرس، أو بيت القصيد، إذ نعود لطرح تساؤل جديد، ألم يكن من الأجدر القول بأن العالم قد أصبح بيتا كبيرا؟ أو حجرة كبيرة بعدما انتفت الخصوصية عن حيوات الشعوب والأفراد؟ لم الإصرار على القرية؟!

قبل محاولة التكهن بالإجابة يتحتم علينا طرح سؤال آخر عمن قام بتصدير هذا المصطلح الذى قبلنا بـه وتـداولناه دون روية، فحسب علمى قد أتانا من الغرب فى وقت تواترت علينا فيه المفردات المستحدثة والاتفاقيات التجارية مثل الجات والعولمة والقطب والواحد والنظام العالمى الجديد إلخ...، فجاء محملا بكل سطوة الغرب وبريقه وسلطانه. لذا لم يكن مصطلح البيت أو الحجرة ليعبر بدقة عن تلك المتغيرات، وذلك لما تحمله هذه الكلمة أو تلك من معانى المساواة التى تصبغ سكان البيت الواحد بعكس القرية وما تحمله من موروثات دلالية إقطاعية بشكل محدد.

فلا عجب إذن أن تتعامل الولايات المتحدة بتلك الغطرسة ــ التى تفاقمت فى السنوات الأخيرة ــ بعد أن وقر فى النفوس دون

وعى وضع السيد والمسود، الإقطاعى والنبلاء فى مقابل الدهماء بكل تداعياته من التراتيب الطبقية المتوقعة. ولا عجب كذلك أن يشيع بين أوساط المثقفين وخاصة المنفتحين على الثقافة الغربية والأوثق اتصالا بها فى بعض الأحيان من ثقافة بلادهم، الشعور بالخضوع والتسليم لمدلول المصطلح ولو فى منطقة اللاوعى، فمنذ القدم كنا نعانى من عقدة "الخواجة" التى تطل برأسها من حين لآخر فى نبذ البشرة السمراء والتفاخر بالأصول الأجنبية فذاك يباهى بجدة شامية وآخر يباهى بعرق تركى أورثه بياض بشرته إلى جانب الإقبال على المنتجات المستوردة وعلى رأسها الأفكار والمصطلحات.

وهكذا قمنا باستيراد مصطلح القرية الكونية ومعه سيد هذه القرية، ومن ثم أعطيناه حقوق السيد ولم نحاول مراجعته، ومن ثم تسللت كافة مظاهر العولمة بسلبياتها وقبلنا بها كفلاحين لهذه القرية لهم علينا حق الليلة الأولى، وإلا بم نفسر ألا تنشط أى حركة من حركات مناهضى العولمة فى بلادنا؟! لم لم تنشأ عندنا ونشأت فى البلدان الأوروبية وفى أمريكا؟

الإجابة بسيطة فسيد القرية الآمر الناهى قد يتمرد عليه النبلاء، لكن هيهات أن يمسه الفلاحون بسوء فهم يخشون كرباجه اللاهب، والكرابيج ما فتئت تلهب ظهورنا بالتجويع والفتن والحروب، وها نحن فى ظل الأزمة الاقتصادية العالمية

مطالبون بالحفاظ على رفاهية السـيد بالمزيـد مـن الخـضوع والاستنزاف لمواردنا، والأدهى استنزاف ثقافتنا وتاريخنا ولساننا الذى ما عاد عربيا مبينا.

٤ مايو ٢٠٠٩

إلى الضاحكين دون علم

أدهشنى استخفاف البعض بالخبر المتعلق بسطو إسرائيل على الأكلات الشعبية الفلسطينية ومن بينها الفلافل. فهؤلاء الناس يعلمون جيدا ما يفعلون، وجل همهم أن يخلقوا جذورا تاريخية وثقافية فى ارض غريبة عنهم، ويعلمون تمام العلم أن التاريخ والحضارة والثقافة منظومة متكاملة، حتى النكات والأمثال الشعبية يسرقونها لتخليق هوية وتاريخ، فلا تستهينوا بسرقة الأكلات الشعبية، هى محاولة أخرى لتجذير الهوية وربطها بالأرض، وكلما ازدادت التفاصيل دقة وكثافة كلما رفدت الجذر بالثبات مثله فى ذلك مثل الجذور الدقيقة التى تغذى الجذر والشجرة وتمدها بالماء والأملاح، فتمدها بالحياة، فى حين تكون مهمة الجذر أن يثبت الساق فى الأرض، فالاحتلال هو الجذر المغروس قسرا فى الأرض العربية والثقافة المنهوبة هى الجذور الشعرية التى تمدها بمقومات تلك الحياة. أضف الى ذلك أن التخطيط لديهم لا يحيد عن أهدافه، قد تتبدل الوسيلة ولكن تبقى الأجندة ثابتة، أما عندنا فخطتنا الوحيدة هى شيطنة السابقين وهدم اى منجز لهم.

٧ نوفمبر ٢٠٠٩

بانوراما الفتنة الكبرى

كثيرا ما ينأى الكاتب بنفسه عن موضوع يراه البعض حديث الساعة، ضنا منه بقلمه على التحليــق فى الــسرب ومفــضلا التحليق وحيدا كالعقاب فى فضائه الخاص، ولكنه قــد يــضطر أحيانا إلى الإدلاء بما عنده ليطرح رؤيته الخاصة.

ومن قابل السطور سوف يدرك القارئ أن الفتنة المعنية هاهنا هى الأحداث التى تواكبت ولقاءات مصر والجزائــر، مــرة فى الجزائر ومرة فى استاد القاهرة وأخيرا فى استاد المريخ بالسودان الشقيق.

ولنبدأ القصة من أولها بالإعلانات التى اعتمدت فى تشجيعها قبل المباراة الأولى فى الرابع عشر من نوفمبر الجارى وعلى مدار الساعة فى كافة الفضائيات على هدف حسام حسن فى لقاء مصر والجزائر السابق، والذى أثار فى حينها لغطا كثيرا، والقول يــا "رجالة" وكأن الرجولة حكرا مصريا بحتا، ومــن هنــا بــدأ الشحن. وبدأت حملات مشبوهة على الفيس بوك واليوتيــوب تعتمد على ما يشبه الأغانى، وهى فى حقيقة الأمــر أقــرب إلى الردح وقد وصل بعضها إلى السباب والخوض فى الأعراض.

كل ذلك حدث بمباركة من الفضائيات التى اهتبلت الفرصة ورأت فيها استثمارا جيدا، لكن ماذا عن الحكومات؟؟

ما السر فى مباركتها تلك النيران المندلعة!!!؟

قبل الولوج إلى عريضة الاتهامات فلنكمل النظر إلى ما حدث، قيل إن البعثة الجزائرية تعرضت للرشق بالحجارة والاعتداء عليها، وفى اليوم التالى خرجت الأهرام المصرية بالقول إن الحادث ملفق، لتتوالى بعدها الكليبات على اليوتيوب والفيس بوك، لتكذب لا الصحف المصرية فحسب، بل والصحف الجزائرية والإعلام الجزائرى كذلك، وهنا لنا وقفة.

لنبدأ بذلك اللاعب الجزائرى الذى خاض المباراة وأم رأسه معصوبة بضمادة عليها طاقية من الشبك ليبرز تساؤل، لو أن تلك الإصابة ناجمة عن طوبة، أو ليس من الأرجح عندئذ إصابته بارتجاج فى المخ!؟ وأن عليه الخضوع للملاحظة الطبية طيلة أربع وعشرين ساعة!؟؟ على كل حال يبدو أنها لم تكن بهذه الخطورة بدليل مشاركته فى المباراة، وبالتالى فالضرب لم يكن وحشيا كما قيل.

ثم استمرت الفتنة وقيل إن المصريين حاصروهم وضربوهم وقتلوا لاعبا منهم رأينا صورته فى الكليب الخاص بالشروق الجزائرية التى ساهمت فى تأجيج الغضب، وقيل قتيل وقيل سبعة

قتلى وقيل أربعة عشر قتيلا، انظر كيف تتضاعف الأرقام شأنها شأن الشائعات، ولكن لن أستبق الأمور وأقول أهى شائعات أم حقائق، فليس هذا ما يعنينى.

ولنعد قليلا إلى كليب جريدة الشروق الجزائرية، فنرى ذلك اللاعب الباكى وهو يحكى وليس به خدش واحد، وجل همه تصوير ما يحدث، فهل كان مرتديا طاقية الاخفا عن الوحوش المصرية الهمجية!؟؟

ومما يثير الريبة أكثر وأكثر، أن الشروق كانت تغطى كل لقطة للضحايا الذين لم نر منهم إلا ضحية واحدة بكلمة الشروق "قال يعنى" حصريا فتبدو لنا الصورة بالتالى مشوشة وغير قابلة للتدقيق.

ولنفرض أن لاعبا جزائريا مات فى تلك الأحداث فعلا، أين الشرطة فى مصر والجزائر؟؟؟ ألا يجدر بالحكومة الجزائرية عندئذ أن تستدعى السفير المصرى وتحتج على ما حدث!؟ ألا يجدر بناديه وبالاتحاد الكروى على أقل تقدير اعلان اسم الشهيد وإعلان الحداد!؟؟

ولكن ما حدث أن الجماهير الجزائرية الغاضبة حاصرت الجالية المصرية المتركزة فى مساكن شركة الأسمنت وحاولت الفتك بها، ولم تستمع لبيان وزارة الخارجية الجزائرية التى أعلنت ألا صحة لما يقال عن القتلى المزعومين. وهنا لنا وقفة أخرى.

فتلك الجماهير الغاضبة لم تتحرك لسبب هين، بل ثورة من أجل دماء أبنائها التى أريقت فى البلد الشقيق مصر، ولم تتدبر الأمر قليلا وتتذكر التعهد الذى وقعته مصر للفيفا بضمان سلامة البعثة الجزائرية، ليقال بعدها ما قيل عن القتل، فلم إذن سكتت الفيفا؟؟؟ هذه واحدة...

أما الثانية فهى ثورة الجماهير بالرغم مما سبق الإشارة إليه من بيان وزارة الخارجية الجزائرية التى كذبت موضوع القتل، ولكن الشروق استمرت هى وغيرها فى إنكار التكذيب المذكور، ليبرز لنا مدى التخبط الذى صرنا نقع فيه نحن الجماهير أمام التضاربات الإعلامية، وكيف فقد الإعلام الحكومى فى بلداننا العربية مصداقيته وكذلك الإعلام الخاص، فالإعلام الرسمى متهم بالديبلوماسية والتهدئة على حساب الدماء الوطنية، والإعلام الخاص أو الحر سمه ما شئت، ولكنه فى حقيقة الأمر إعلام استثمارى... متهم بالاتجار فى مشاعر وعقول الشعوب وكل ما يهمه فى الأمر نسبة المشاهدة. الدماء والموت والحروب محض مانشيتات ساخنة تدر أموالا، وكذا الفتاوى الدينية والفضائح، يستوى لديهم عمرو خالد ويوسف القرضاوى مع هيفاء ونانسى مع شارون وأوباما وبوتفليقة والبشير ومبارك، كلهم دجاجات تبيض ذهبا إلى حين.

وأخيرا نأتى لما حدث عقب المباراة التى أقيمت فى الخرطوم، فنسمع فى الجزيرة علماء الدين يخاطبون الشعبين للتهدئة وهذا ليس مربط الفرس، بل يكمن مربط الفرس فيما قاله رجل دين

تابع لجماعة الإنقاذ المحظورة فى الجزائر، حيث أعلن أن السلطات الجزائرية منعته من السفر إلى السودان لمحاولة تهدئة الجماهير، ولكن المذيعة قالت له ألا يمكنك أن تقوم بهذا من مكانك فى الجزائر؟؟ فكان رده أنه يعجب منعه فى الوقت الذى سمحت فيه السلطات بالسفر لمحكومين سابقين ومنهم من لايزال خاضعا لنظام المراقبة... وعند هذه العبارة توقف العقل ليدور حولها ألف سؤال كلها تفضى إلى هاجس واحد، أن السلطات الجزائرية أرسلت بلطجية لحضور المباراة والقيام بالواجب.

ولم تمض ساعة حتى تعزز هذا الظن بنظرة على الفيس بوك، حيث قام شاب لم يخدش عامه العشرين بتسجيل كليب يتوعد فيه المصريين بالثأر لدماء اخوانه الشهداء ويعلن كراهيته لمصر بسبب عمرو أديب وما قام به من شحن ضدهم، وتوعده ومعه المصريين الذاهبين إلى السودان قائلا إن الذاهبين لحضور المباراة ليسوا جزائريين بل حثالتهم وانهم ذاهبون للقصاص من المصريين، وأوضح ذلك بالقول إن هؤلاء هم المتعطلون والبلطجية وقاع المجتمع بعد أن توفرت لهم التذاكر بسعر بخس فى متناول أى منهم... وقد كان، ولكن.

تكرر السيناريو البغيض للمرة الثالثة، حول ضرب واعتداء وحصار لمشجعين مع تعديل طفيف وهو اعتداء الغالب على المغلوب من باب الثأر لهزيمة سابقة ونشوة بالنصر، لا كما تعودنا

أن يكون من المغلوب نقمة على الغالب، وأمر الله غالب. ليتكرر الهوس ويعاد الفيلم الإعلامى السخيف مجددا، ويتراوح بين أكاذيب وأكاذيب مضادة وتهويلات على الجانبين واستثمار لدماء مسكوبة هنا وهناك إن صدقا أو زورا.

وهنا يراودنى ظن سيء يدخل فى باب حسن الفطن حول مصلحة الحكومات المصرية والجزائرية والسودانية فى كل ما يدور، فأجد خيطا يربط بين ثلاثة رؤساء قابعين على أنفاس شعوبهم منذ عقود، وحول رئاسة كل منهم وشرعيتها تدور الأقاويل، وحكومات فاشلة وفاسدة تلهى جماهيرها وتفرغ شحنتها الغاضبة بعيدا عنها.

نرى فتنة مصرية جزائرية ونسلط الأضواء عليها، ونغض الطرف عن حرب يمنية سعودية ضد الحوثيين ومهما بلغت نظافتها فسوف تصيب مدنيين شأنها فى ذلك شأن كل حرب، ناهيك عما يحدث من بناء لتسعمائة مستوطنة جديدة فى القدس ونحن فى غفلة كروية ماحقة.

وفى الشأن المصرى حدث ولا حرج، فقد تم تخدير الدهماء عن الغذاء المسرطن وأزمات الغذاء والمياه الملوثة بالمجارى والتوريث المسلط على رقابنا، ليمر من تحت أنوفنا حدث أشد هولا من كل ما سبق، وهو افتتاح، وتأمل جيدا افتتاح سد "نيكيزى" فى اثيوبيا والذى سوف يؤثر بشكل مباشر على

حصة مصر فى مياه النيل، والسد المذكور لم يبن بين عشية وضحاها، بل استغرق بناؤه سبع سنوات، أى منذ السنة الأخيرة لمبارك قبل التعديل الدستورى والتجديد له مجددا!!!!

كل ذلك يحدث ونحن كالحمير المساقة فى طريق لايحيد بعد أن تم تغشية أبصارنا بموقعة مصر والجزائر، فلم نر النيل وهو ينهب، ولا يعنينا زيارة ليبرمان لاثيوبيا وكينيا وأوغندا ونيجيريا فى جولة افريقية استغرقت عشرة أيام ليبارك مشروع تعطيش مصر وتركيعها الأعظم كما يحدث الآن فى العراق حيث يعانى بلد الرافدين من الجفاف بعد أن تكاثرت على منابعه السدود الإيرانية والتركية.

فإلى متى الاتجار بدمائنا وأعصابنا وبلادنا، وإلى متى اللعب بنيران الفتنة؟ وإلى الحكام أقول لا تراهنوا على تسامح الشعوب كثيرا، هى لعب بالنار، والمثل المصرى يقول: "اللى يحضر عفريت يصرفه"، أرونا كيف ستصرفونه!!

٢٥ نوفمبر ٢٠٠٩

لعلنا نذكر كيف خرجت الجماهير الجزائرية رافعة الأعلام المصرية ابتهاجا بتنحى مبارك، والذى سكرنا به فأخلينا الميدان قبل تمام المهمة.

حين يصبح جلد الذات موضة المتثاقفين..

فى الرد على ابراهيم عيسى

أغفل السيد ابراهيم عيسى أو تغافل عن حقيقتين تاريخيتين وأورد معلومات مضللة عن جهل أو تجاهل، فحقيقى أن أبا خليل القبانى هو الذى أدخل المسرح فى مصر، ولكنه جاء مطرودا من سوريا، وكذلك طرد من مصر ثم عاد إليها، وكان الهدف من إدخال هذا اللون من الفنون هو تغيير عادات شعوبها، ومثبوت فى مراسلات الحملة الفرنسية على مصر

أما الحقيقة الثانية فهى فيما يتعلق باسم مصر ولم هى اسمها ايجبت، وهى تحوير لكلمة قبط المحورة عن كلمة قفط، وهى أقرب بلد للجزيرة العربية من جهة البحر الأحمر، ومصر فى اللسان تعنى البلد وتتعدد الأمصار وتبقى مصر فوق الجميع ولكن فى قلوبنا، شأنها فى ذلك شأن كل بلد عند أبنائها.

١٩ ديسمبر ٢٠٠٩

كتبت هذه التدوينة تعليقا على مقال لابراهيم عيسى هاجم فيه المصريين بشدة وسخر منهم بطريقة مريبة تحتوى الكثير من التكريس للتسليم بالهوان، وهو نموذج للمعارضة الكارتونية التى تقنعت بها حقبة مبارك فى ديموقراطية زائفة.

سؤال أغضب الإخوة المسيحيين ولكن..؟

لولا حالة الاحتقان المتزايدة لمر السؤال بشكل عابر ولم يكن ليصبح قضية تثير استفزاز الإخــوة المــسيحيين، وكـــل دارس للعمارة الإسلامية سوف يلاحظ أن المساجد مزينة بنجمة داوود، بما فيها المساجد التى بنيت بعد الفتح الإسلامى أو الغزو العـــربى الإسلامى كما يحلو للبعض تعريفه، وكل دارس مسلم للفنـــون الجميلة لا يمكنه تجاهل روعة تمثال موسى لمايكل انجلو، ويـــصبح أقصى حلمه الذهاب لإيطاليا لزيارة كنائسها ومعاينة الرســـوم الرائعة التى تزينها بغض النظر عن اعتقاده فيما تمثله، وأذكر أن الكاتب الراحل فيليب جلاب أحيانا ما كان يستعين بآيات مـــن القرآن والأحاديث الشريفة فى مقالاته، وليست هذه هى المـــرة الأولى التى ترد فيها مثل هذه الأســـئلة، فلـــم أصـــبحت الآن مستفزة وخالية من الذوق؟

لا أنكر أن التوقيت غير ملائم، ولكن ما يعنينى هاهنا حالـــة التربص التى وسمت الأمور بحيث تؤخذ كل حركة بنية الاستفزاز والتحرش وبالتالى وجوب الغضب والإعلان عنه، أرانا ندخل فى دائرة جهنمية من التربص ومن الفعل ورد الفعل.

وقد سبق لى الكلام فى هذا الموضوع فى مقال نشر فى الأخبار منذ عدة سنوات بصفحة الرأى تحت عنوان متربصون منذ زمن

بعيد، وكان العنوان الأصلى الذى أحجمت الجريدة عن نشره آنذاك، هو حذار من السامية القبطية، حيث حذرت فيه من الحالة الابتزازية التى ما فتئت تطل برأسها، ولكن للعقل دور هاهنا، فحسب تاريخ الامتحان، فهو لهذا العام وفى مادة الرسم، ولم يكن من الحصافة اختيار هذا الموضوع فى هذا التوقيت فى الوقت الذى بات الجميع يتحسس رأسه، وفى حديث مفتوح القلب مع أخ مسيحى قلت له، كلنا مضطهدون فى هذا الوطن، فعلى الأقل أنت لا يشتبه بك لو حدث وأطلقت لحيتك، ولا تعانى مثلنا من المساجد سيئة السمعة لدى الدولة، التى يراقب روادها من قبل أمن الدولة ويتم القبض عليهم لمجرد ارتيادهم إياها، وبكل صراحة أرى أن الحكومة هى المسئولة بشكل مباشر عن هذه الفتن كى تلهى المواطن عن مشاكله الحقيقية.

الزمان غير الزمان يا أخى العزيز جرجس، فقد نشأت فى مدرسة راهبات وكنا نحفظ أغانى الكريسماس ونقف نغنيها فى الكورال وكانت الطالبات تقمن بالتمثيل فى المسرحيات الدينية ويقمن بدور السيدة العذراء ويوسف النجار وغيرهم من القديسين، دونما النظر إلى ديانتهن بل وفقا لقدرتهن فى اللغة الانجليزية، وفى الوقت ذاته كانت الطالبات المسيحيات يحفظن آيات من القرآن من كتب القراءة، ولا أعنى بكلامى هذا أننى أقر موقف واضع الامتحان، بل أراه عملا غبيا ولعبا بالنار،

وخاصة أنه قام بالتحديد، ولفرط غبائه هو لا يدرى أنه بذلك يثير حفيظة المسلمين المتشددين كذلك الذين يحرمون الرسم وقد يتهمونه بابتذال بيت الله الحرام وجعله موضوعا للرسم والتخوف من وضع أسئلة تطلب منهم رسم الأنبياء وباب واسع لا ينغلق من ردود الأفعال الغاضبة، التشدد والاحتقان والتنطع فى الدين والمزايدة كل هذه الأشياء مع الأسف الشديد هى سمة هذا العصر ويتم توظيفها لأغراض ليست شريفة بالمرة وكلها تضرب فى جذور الوطن بمعاول الهدم والتخريب.

٢٨ يناير ٢٠١٠

اتسمت فترة مبارك العادلى بالاحتقان الطائفى للسيطرة على مقدرات الشعب والهائه، وقد شهدت ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ أعلى معدلات فى الاحتجاجات الشعبية بعد ان بلغ السيل الزبى ومنها الاحتجاج الشهير بوقفة "الصحون الفارغة" احتجاجا على غلاء المعيشة وذلك قبيل الثورة بأسابيع.

فى الرد على مسألة اللى يسوى

واللى ما يسواش

مع احترامى الشديد للجميع لى تحفظ هنا وهنـــاك، فقولـــه السينمائيين لهم نقابة وربطهم بنشر الفساد غير مقبول، وكـــذا عنوان الشير لدى الفنان القدير غير مقبول، فهو يفتح أبـــواب جهنم فى وقت حرج ويضعف من موقفه بدلا من تعزيزه، أمـــا النقطة التى أعترض عليها وبشدة فهو اقامة نقابة للدعاة، فالنقابة خطوة على طريق الكهانة ولا كهانة فى الإسلام، هذه واحـــدة. أما الثانية فهى تكريس لبروز الشيخ بعجر ـــ مفتى الـــسلطان، النقطة الوحيدة التى أتفق فيها معه هى فى الحصانة، ولا أعنى بها حصانة رسمية لداعية رسمى، بل أعنى حرية الرأى للجميع وأدافع وبشدة عن هذا الحق أسوة بحرية الصحافة والإعـــلام وحريـــة الإبداع التى ما فتئنا نطالب بها.

همسة أخيرة لذلك المطالب بالحصانة للدعاة: من قال كلمـــة حق فى وجه ملك ظالم فقتله بها مات شهيدا، لو كـــان دعاتـــك

يؤمنون بما يرغبون فى قوله حق الإيمان لقالوه وتوكلوا على خالقهم، ولصاروا دعاة بحق لا أدعياء.

٢٨ فبراير ٢٠١٠

تعليقا على النائب الذى كان يطالب بإنشاء نقابة للدعاة وفى معرض طلبه استفز بعض الفنانين وتصدى له آنذاك الفنان صبرى فواز

تلك المئوية المنسية

فى حلقة يوم الأحد الموافق الرابع من ابريل ٢٠١٠ للبرنامج المتميز ""عصير الكتب"" للأستاذ للكاتب بلال فضل، تحـــدث الشاعر والناقد الأستاذ شعبان يوسف فى فقرته المثيرة للدهشة ــ على حد تعبير الأستاذ بلال ــ ""سور الأزبيكة"" والتى يفتح لنا فيها مغارة ""على بابا"" مما لديه من واسع القـــراءة والمعرفـــة ؛ حيث ورد ذكر محمود شاكر من بين من تحدث عنهم فى قـــضية المعارك الأدبية بين الأدباء وبعضهم البعض واختصه ببضعة دقائق تزيد بشكل واضح عن غيره من الأدباء الـــذين ورد ذكــــرهم، وذلك فى تذكرة منه وعتاب للدولة وللأوساط الثقافية الـــتى لم تحتف بمئويته وتركتها تمر فى صمت، وقد عقب الأستاذ بـــلال فضل قائلا إن محمود شاكر لم يُقرأ بشكل جيد، وقد صـــدق فى قوله هذا. بيد أن ما لفت نظرى فى الحديث هو تلك الحـــسرة على عدم جمع مقالات الشيخ شاكر ــ كما ورد فى البرنامج ــ فوددت أن أثلج صدريهما بمعلومة متواضعة توفرت لدى بمحض الصدفة، ألا وهى أن الدكتور عادل سليمان جمال لم يفته ذلك، بل إنه دأب على مطالبة الأستاذ بجمع مقالاتـــه طيلـــة أربعـــة وعشرين عاما وأكثر، ولكن الأستاذ محمود شاكر كان يـــرفض لأنه كان يكره إعادة نشر ما كتب بل ويكره الاستـــشهاد بمـــا

سبق له ذكره فى كتابات سابقة ويفعلها مضطرا. ولولا الإلحاح والمحاججة والاستقواء بآراء تلاميذ الأستاذ محمود شاكر، لما رأى كتاباه الشهيران "أباطيل وأسمار" و"نمط صعب، ونمط مخيف" النور فى حياته، أما جمهرة مقالاته فقد قام بجمعها الدكتور عادل سليمان فى مجلدين كبيرين بعد التشاور مع أرملة الأستاذ محمود شاكر وابن أخيه الكاتب الصحفى الراحل عبد الرحمن شاكر وولده الدكتور فهر، وكذا التقديم لها ومراجعتها على الميكروفيش بمكتبة الكونجرس الأمريكى. وقد حوى المجلدان إلى جانب المقدمة والمقالات تبويبا ضافيا مقسما فى أربعة فهارس ليصبح عدد الصفحات مجتمعة فى المجلدين ١٢٧٤ صفحة من القطع الكبير وذلك تحت عنوان "جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر"، وقد صدر الكتاب عن مكتبة الخانجى عام ٢٠٠٣م بعد جهد من الأستاذ الخانجى والدكتور عادل دام لعدة سنوات امتدت بعيد وفاة الأستاذ وحتى تاريخ نشره.

هذا عن المقالات وسيرها، أما فيما يختص بالاحتفال بمئويته فقد سبق لى أن نبهت لاقترابها فى مقال لى بصفحة الرأى بجريدة الأخبار، وكانت بعنوان "الدراما والتاريخ عند محمود شاكر"ونشرت فى الرابع من أغسطس ٢٠٠٥، ومع الأسف الشديد كانت الذكرى والذاكرة آخذتين فى الشحوب وقتذاك فكانت هذه المقالة هى الوحيدة التى نشرت فى ذكراه حتى أن

الدكتورعبد القادر الإدريسى ذهب كعادته حين يكون فى زيارة لمصر إلى بيت الأستاذ قائلا لهم لم يكتب عن الأستاذ فى ذكـــراه سوى عالمة كيميائية واسمها كذا، وهو بذلك يفيض على شخصى الضعيف بصفة أكبر منى وعذره فى ذلك هو حرصى آنذاك على وضع لقب الكيميائية رفيقا لتوقيعى، ليبادره الأستاذ عبد الرحمن شاكر بذكر صلتى بهذا البيت، وبذلك أكون فسرت ما قلته فى قابل السطور من أننى عرفت ما عرفت بمحض الصدفة، فهو عم والدتى رحمهم الله جميعا.

وقد يعجب القارئ لحرصى طيلة السطور الفائتة على ذكـــر اسم الأستاذ شاكر كاملا بقولى محمود شاكر، بل وقـــد يـــراه إطنابا منى وهو ليس كذلك، فلو عرف السبب لبطل العجـــب كما يقولون. والسبب فى ذلك الحرص إنما يعود لما لاحظته مـــن الخلط فى كثير من الأحيان بين كل من محمد شاكر وولديه أحمد ومحمود شاكر، ومع الأسف الشديد فقد وجدت هذا الخلط فى موقع يعتبره الناس مرجعا هو اسلام أونلاين الذى ثـــار حولـــه الجدل مؤخرا، لذا وبالعودة لحلقة برنامج ''عـــصير الكتـــب'' المذكورة والتى دعتنى لكتابة هذا المقال، وجدت كلا من الأستاذ شعبان والأستاذ بلال يشيران إلى محمود شاكر بقولهما الـــشيخ شاكر، ولهما العذر فى ذلك فمعرض حديثهما كان عن الأدباء، وقد سبق لى الإشارة فى موضع آخر أنك اذا قلت الشيخ شاكر

فسوف يتداعى إلى الذهن إما محمد أو أحمد أو محمود حسب كنه الحوار وحسب المتلقى، فلو كان المتلقى من المهتمين بعلوم الحديث والشريعة لوقر فى ظنه أنك تتحدث عن الشيخ أحمد شاكر، أما إذا كان المتلقى من المهتمين بتاريخ الأزهر ونشاطه السياسى فسوف يستدعى الشيخ محمد شاكر، وهكذا بالنسبة للمهتمين بالأدب فيما يتعلق بمحمود شاكر، أما خلصاؤه ومريدوه الحقيقيون فلا يقولون عنه سوى الأستاذ ولا يلقبونه بالشيخ، وهكذا ترانى ألتمس الدقة فى قولى للتأكيد عمن أعنى بكلامى من آل شاكر.

ومن باب التوكيد على كلام الأستاذ بلال أن محمود شاكر لم يُقرأ بشكل جيد، دعونى أقتبس هذا الجزء من مقالته المنشورة فى مجلة القاهرة فى عددها الرابع عشر بتاريخ الثلاثاء ٧ مايو ١٩٨٥م ، بعنوان "الألفاظ المكشوفة فى هذا الكتاب طبيعية وينبغى ألا يجهلها البشر"، والتى قام بنشرها إبان أزمة كتاب "ألف ليلة وليلة" والحكم بإعدامه حيث يقول فى خاتمة المقالة: "من حق بعضنا أن يقرأه أو لا يقرأه. لكن الذى ليس من حقنا جميعا أن نحكم بإلغائه أو بحرقه!

فالثابت أن هذاالكتاب وجد منذ مئات السنين، وخلال هذه السنين قرأه الناس، ولم يحدث مرة أن قيل إن هذا الكتاب أفسد عقل جيل أو عرض إلى انحلال مجتمع.

إن غاية ما يراه البعض فى اتهامهم لهذا الكتاب هو أن به ألفاظًا مكشوفة تنتشر على صفحاته! هذه الألفاظ فى رأيي لا خوف منها. فهى ألفاظ العلم نفسه. وإذا كان لها تأثير ضار، فكيف يستخدمها علماء اللغة وأصحابها. أقول إنها ليست ألفاظًا ضارة وإنها ألفاظ طبيعية وعادية يستخدمها البشر فى كل مكان. وليس من مصلحة البشر أن يجهل مثل هذه الألفاظ. فهى ضرورة من ضرورات الحياة.. العلمية منها أو الاجتماعية.

ومن هنا أرى أن ما يثار الآن حول كتاب ألف ليلة وليلة مثل من أمثلة فساد حياتنا الثقافية بوجه عام."

انتهى الاقتباس مع خاتمة مقالته، وقد عن لى أن أستعين به ليكون حجة للأستاذ بلال الذى شكا فى مطلع الحلقة المذكورة من الهجوم عليه وعلى غيره من الكتاب من قبل من يحسبون أنفسهم على السلف حتى صارت السلفية وصمة وتهمة يدرأها المرء عن نفسه، وهو ما حرص فى حلقته المذكورة على توضيحه، أى الفارق بين السلفية وبين ادعائها من قبل المتنطعين والمتاجرين بقشور المعرفة.

ختاما لا يسعنى سوى الثناء على هذا البرنامج الذى يجتهد العاملون فيه فى محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أحوالنا الثقافية المتردية، وأن يضيئوا شموعا بدلا من لعن الظلام، فمع ثورة المعلومات وانفجارها أصبح المتلقى فى حيرة من أمره عماذا يقرأ

وماذا يترك فى هذا العباب المتلاطم حوله من الحروف والكلمات.

١٩ أبريل ٢٠١٠

لعب المثقفون دورا لا ينسى فى الثورة وقد تعرضوا للبهدلة، منهم الكاتب الكبير بهاء طاهر الذى لم يرحم شيخوخته أحد الضباط وكاد يطرحه أرضا بدفعة من يده لولا تصدى الأستاذ شعبان يوسف للضابط ومساندة الكاتب الكبير قبل أن يختل توازنه ويقع، وكذلك الصحفى محمد عبد القدوس الذى ألهبت صورته الصدور حنقا وهو محمول "مرابعة" بواسطة عساكر الأمن المركزى، وغير ذلك الكثير من المواقف التى لا مجال لحصرها.

من أنت فى هؤلاء؟

كثيرا ما ينساق الكاتب وراء المادة والشهرة لو أتيحت لــه، أو يصيبه القنوط لتأخره فى النشر والانتشار، ومؤخرا ومع تفشى ظاهرة المنتديات والكتابة فى الفيسبوك، أصبح الكاتب المبتدئ فى مهب الريح بعد أن تواترت عليه ألوان متعددة من القراء الذين يشكلون النواة الأولى لجمهوره، وهى كلمة خادعة لو أخــذناها بشكلها المطلق ووضعنا الكافة مع الكافة.

فكلمة الجمهور كلمة عامة تحوى أطيافا متعددة من القــراء بخلفياهم وثقافاهم المتباينة، ولذلك فدائما ما كنت أقول لأبنائى من الأدباء الشبان الأدب مثله مثل التجارة، فتخير جمهورك كما تتخير بضاعتك، فتاجر الماس تاجر، وبائع الخبز تاجر، وذلــك الذى يسرح فى الاوتوبيسات بالامشاط والفلايات تاجر، وكلهم يبيعون بضاعتهم، فاختر لنفسك ما شــئت، أن تكــون مقــلا ومتميزا كتاجر الماس، أو لا غنى عنك وغزير الانتــاج كتــاجر الخبز، أو أن تتوه وسط الزحام كتاجر الامشاط والفلايات، فمن أنت فى هؤلاء؟

١٦ مايو ٢٠١٠

مجرد رأى فى مسألة الجامعة العربية

بشكل متلاحق ومتواتر تم فتح ملف عمرو موسى والجامعة العربية التى أصبحت معيرة لمصر ومصر فقط رغم أنها ليست جامعة عمرو موسى ولا حسنى مبارك ولا حتى مصر، هى جامعة الدول العربية التى لم تتوان يوما ما ولم تجفل من استبعاد مصر وإيقاف عضويتها عقب معاهدة كامب ديفيد ومبادرة السادات رحمه الله

أجل أترحم عليه لا عن إيمان منى بما فعل أو عدم إيمان ، ولا حنينا لزمن جميل وآخر تلك الهلاوس التى تدفعنا للخلف، بل لأنه وبكل بساطة بين يدى بارئه وهى عقيدة لا تتزعزع عندى

تلك العقيدة تدفعنى لقراءة التاريخ بوعى ثابت ألا وهو ألا لا إله الله، فعبد الناصر والسادات ومبارك ما هم إلا بشر،يصيبون ويخطئون ولى أن أكرههم أو أحبهم كأشخاص، أما كرجال دولة فلى كل الحق فى محاسبتهم كمواطنة دون خوف أو وجل، فمن قال كلمة حق فى وجه ملك ظالم فقتله بها، مات شهيدا

وبالعودة لصدر المقال وصلنى تاج من السفيرة الأستاذة ظبية خميس لمقال لها تتهم فيه عمرو موسى بتسليط حارسه الشخصى للتحرش بالدبلوماسيات العرب ممن يعملن فى الجامعة، ولم تكن

هذه أول خصومة بينها وبينه ولا بينه وبين غيرها ممن عملن فى الجامعة، وكذلك لم تكن تلك أول مواجهة لعمرو موسى مع الأنظمة العربية حتى قيل له يوما ما أنت موظف فى هذه الجامعة، وهذا صحيح إلى حد كبير

ولست هنا بصدد الدفاع عن عمرو موسى أو الهجوم عليه، ولا التشكيك فيما أوردته السيدة ظبية، كل ما يعنينى هو ألا يصير الأمر كيلا بمائة مكيال وهاكم ردى الذى كتبته لدى السيدة ظبية ولا أدرى هل سيظل فى مكانه أم سيتم حذفه!؟؟

البينة على من ادعى واليمين على من أنكر

وفى حالتنا هذه لا تكفى الأيمان ونحن لسنا قضاة، المطلوب فى هذه الحالة هو تحقيق قانونى موسع واتخاذ التدابير القانونية المناسبة،فلا أحد فوق القانون، سواء المدعى أم المدعى عليه

وفى النهاية الجامعة العربية ليست ملكا لأحد بل ملك للشعوب العربية التى تقطتع رواتب موظفيها من أقوات هذه الشعوب

ولا مجال للمجاملات ولا أظن أن مصر أو رئيسها مهوى لأفئدة أحد من العرب منذ كامب ديفيد، فلا يخش أيكم من طرح أدلته إذا توافرت لديه وبالشكل القانونى المناسب

كفانا عبثا بمصائر الشعوب العربية، أو فلننتـــه مـــن هـــذه التمثيلية السخيفة المسماة بالإرادة العربية الموحـــدة والمـــصلحة العربية الخ تلك الترهات التى كانت مضارها أكبر من منافعها

إلى هنا وانتهى الكلام... فماذا نحن فاعلون؟

ولكن السؤال المطروح هاهنا

هو ما المقصود بالضبط بكلمة تحرش وخاصة حـــين يقتـــصر الأمر على جمع المؤنث السالم!!؟

أما مسألة الترشح للرئاسة فلا أحبذها، كفانا شيوخا وعمرو موسى لم يعد شابا أو حتى كهل بل صار شيخا والشيوخ هم آفة هذه الأمة.

على الهامش: كل الشكر لمحمد خير الله الذى استعرت منـــه مقولته اسمها الجامعة العربية وليست جامعة عمرو موسى.

٨ يونيو ٢٠١٠

تعقيبا على الخلافات التى أثيرت بين الشاعرة ظبية خميس والسيد عمرو موسى.

تساؤلات ما بعد العاصفة

سؤال يطرح نفسه بعد العاصفة: لماذا خالد، اليوتيوب مليء بفظائع الشرطة، لا أحد يقتل أحدا بلا دافع، ولماذا الآن؟

يبقى السؤال:

لماذا قتلوه؟

الفيديو المزعوم ساذج واليوتيوب والفيس بوك بهما الكثير، ومؤخرا رأينا ضابطا يرقص ويتلوى بغنج ودلال تحسده عليه الراقصات، فإن كان ضابطا بالفعل فهى فعلة مشينة وفاضحة لجهاز يفترض به الهيبة والبطش!

وإذا كان مفتعلا والذى يرقص ليس ضابطا وإنما يرتدى زى ضابط، فهى جريمة انتحال صفة قانونية حسب علمى المحدود.

وبالعودة للدافع وراء قتل خالد أتسائل من الذى أرسل هذين المخبرين؟

هل كانا ذاهبين لقتله أو لنقل تهديده؟ أم أن الصدفة لعبت دورها؟

هل توافرت النية المسبقة والاستهداف؟

فإذا كان الأمر كذلك، فهذا يعنى أننا لم نر شيئا بعد

هل كانا ينويان تهديده فقط وخرج الأمر عن السيطرة؟

من الذى أعطاهما الضوء الأخضر لهذه الفعلة؟

من المحرض؟؟

المحرض فى بعض الأحيان يكون أهم من الفاعل

ويبقى سؤال آخر

لماذا لم يقم خالد بنشر الفيديو مباشرة؟

لماذا انتظر حتى أصبح مصدر خطر على حياته؟

ولا يفوتنا أن نتسائل عن الرواية الأولى، وهى أن خالد كان مسالما ولا ناقة له ولا جمل فى السياسة وغيرها، فلو صح أن لديه تسجيلا يفضح الفساد، ألا يعنى هذا أنه لم يمش جنب الحيط كما قيل أولا؟

١٧ يونيو ٢٠١٠

خالد سعيد شهيد الأسكندرية وأيقونة الثورة.

هزار ولد عم الجد !

تلك الصورة المذكورة هى ورقة من فئة المائة دولار ومطبوع عليها صورة لرجل صعيدى، ومكتوب دولر بنك أوف صعيدى. وأنا لست ضد المزاح والطرائف، ولكن ما أخافنى هو أثر المزحة وفى ذات الوقت منابع المزحة.

فلست مع تحويل الصعيد وأهله لمادة للسخرية وهو الـــذى أنجب لنا العظماء، كما أن السخرية من إقليم وأهله يعد عنصرية مذمومة. ولا ينسين أحدكم أن عبد الناصر الذى يتحسر عليـــه الكثيرون ـــ بغض النظر عن اتفاقنـــا أو اختلافنـــا معهـــم ـــ صعيدى.

ولكى لا أطيل دعونى أسرد تلك المخاوف ولنتدبرها معـــا، أولى هذه المخاوف تخص لغتنا الحبيبة، وفى ظنى أن اعتزاز الأمم بنفسها يبدأ من اعتزازها بلغتها، فلو دققنا فى الصورة سنجد عبثا بهذه اللغة، وما أضيعنا حين لا نلتفت لتلك الأمور التى يعـــدها البعض من التوافه، وأول ألوان هذا العبث باللغة هو عبارة دولر بنك أوف صعيدى والمكتوبة بحروف عربية وما تنتمى للعربيـــة بنسب سوى بكلمة صعيدى.

المسألة الثانية تطال العبث بالعربى من الألفاظ وليس الأعجمى المرسوم بأحرف عربية، إذ نجد أسفل الورقة عبارة تقول "أحذروا التقليد"، فورد هاهنا خطآن الأول هو وضع الهمزة فوق الألف والأصل فيها أنها مكسورة، والثانى هو وضع الهمزة من الأصل، فالصحيح أنها لا تكتب باعتبارها همزة وصل.

هذا عن اللغة وما طالها من عبث، فماذا عن المخاوف الأخرى؟

بالعودة للحديث عن السخرية من إقليم وأهله، تثور فى النفس مخاوف مما يتربص بنا من نزعات انفصالية ما فتئت تتنامى فى العقود الأخيرة، فكأننا بذلك نعزز من غربة الصعيد وننمى تلك النزعة ونمهد لها من حيث لا ندرى بغفلتنا هذه.

وقد يرى البعض فى كلامى حنبلية وتشددا، ولكن دعونى أذكركم بموقف أعدائنا من الصهاينة فى مزاحات أبسط من هذه، يقيمون الدنيا ويولولون متغنين بالعداء لساميتهم المزعومة ويبتزون العالم بمحرقتهم الأسطورية.

فمتى نتعلم الدرس منهم؟

٥ يوليو ٢٠١٠

كلمنى شكرا.. ياله من فخ

فرغت للتو من مشاهدة فـيلم كلمـنى شـكرا للمخـرج المشاغب خالد يوسف، وكاتبة السطور مجـرد مـشاهدة مـن الجمهور الواعى إلى حد ما، وبدون مقـدمات أرى أن الفـيلم محفوف بفخاخ كثيرة سواء للمشاهد أو للممثلين وكـذلك وفى طليعتهم المخرج خالد يوسف، والفخ الأول هو أنك تـشعر أن هذا الفيلم هو امتداد لفيلم حين ميسرة، ثم تفلت منه وقبـل أن تنفض الغبار عن ذهنك الذى كاد يقع فى الفخ الأول يعـاودك الشعور بأنك مازلت واقعا تحت تأثير حين ميسرة حين ترى أداء عمرو عبد الجليل الذى يعتمد النطق المشوه للكلمـات، كمـا يذكرك بشخصية اللمبى ذلك المغيب الفاشل الذى يحاول تلقيط رزقه، وحتى فى النهاية نجده يقرر اتخاذ الطريق السليم. ولكن ما أن تفلت من هذا الفخ حتى تنتقل إلى مستوى أعلى وأصـعب على غرار ألعاب الكومبيوتر التى تنتقل بك من مستوى إلى آخر فيزداد التحدى، فبعد أن يراودك الظن أن المخـرج يـستقطب الجماهير الباحثة عن المناظر على رأى محمد هنيـدى فى فـيلم المنسى ـــ حتى تفاجأ بآداء بارع من غادة عبد الـرازق بـدون أوفر اكتينج، وبالمناسبة كان مشهد الاوفر من أبرع المشاهد التى

أداها عمرو عبد الجليل فى الفيلم، حيث أقنعك بطبيعية شـــديدة أنه يأفور فى أدائه. ويحسب المشاهد انه يتفرج على رحلة ضياع لبضعة شباب وعلى رأسهم ابراهيم توشكى وأنها تيمة مستهلكة ولكن... تتكشف لك مفاتيح الخدعة شيئا فشيئا عـــبر رســـائل كلمنى شكرا الخاطفة، فهل من قبيل الصدفة أن يكون الفاشـــل غير المثمر اسمه توشكى!!!؟ ورسالة أخرى فى صراع الفقراء بين توشكى وعاطف الطاير على فتات ساويرس ويصدق توشـــكى نفسه أنه شريك لساويرس، ترى هل تم الهجوم علـــى الفـــيلم بسبب بذرة التمرد التى تمثلت فى بث القنوات المشفرة؟

أتراها كانت غضبة مصالح لا غضبة للدين كما أوهمنا أولئك الذين هاجموا دور الفنان صبرى فواز واعتبروه يـــسيء لرجـــل الدين، رغم انه طيلة الفيلم لم يذكر أنه رجل دين وأنـــه فـــران جائع يريد إطعام العيال بأية وسيلة؟

أم أن الغضبة جاءت لأن الإدانة ممتدة من جيل إلى جيل ومن سيء لأسوأ؟ فنرى أطفالا يكبرون فى الخرائب ومـــن بعـــدهم أولادهم يلتقطون بقايا عربدتهم حتى يصل بهم الأمر إلى فقـــدان الرؤية؟

أم كانت غضبة المتاجرين بكلمات كبرى ككشف المـــستور والمسكوت عنه ثم يتضح فى النهاية التغرير بكل مـــن المـــشاهد والمؤدى؟

هل كانت هذه هى جريمة خالد يوسف الحقيقية؟؟

أنه كشف مستور المكشوف!!؟

فاتنى فخ لعله الأكبر فى هذا الفيلم وهو الفنانة شويكار تلك الفاتنة الضاحكة الدلوعة التى ألبست أمينة رزق باروكتها وسرقت دموعها ودموعنا فى مشهدها الرائع أمام لقمة العيش فى الاستوديو، فتحية لها.

لو لم يلعب الأدب والسينما دوريهما فى فضح العنصرية وزيفها فى أمريكا جنبا إلى جنب مع نضال مارتن لوثر كينج ومالكولم إكس ـــ مثل رواية أسود مثلى والتى تحولت إلى فيلم بنفس العنوان، ومسلسل جذور المأخوذ عن كتاب أليكس هيلى وغيرهما الكثير ـــ لما جاء اليوم الذى يحكم فيه أوباما أمريكا.

وأما عن البلاء والدول القوية فدعونا نتذكر سلسلة أفلام الأب الروحى التى كشفت اختراق المافيا وتنفذها حتى داخل أسوار الفاتيكان.

كما أذكر فيلما رائعا لجارى اولدمان بعنوان ليو حيث لعب فيه دور شرطى فاسد، وقام الفيلم كله على وضع معكوس وهو إنسانية القاتل المأجور فى مقابل وحشية الشرطة وفسادها.

وأود الإشارة إلى أننى لست ناقدة ولا تدخل كلمتى المتواضعة فى مصنف النقد السينمائى، هى مجرد ملاحظات وتساؤلات

حول السر فى الهجوم المفرط علـــى الفـــيلم، وخاصـــة أن دور الأستاذ صبرى فواز نال نصيب الأسد من الهجوم عليه وشاع أنه قام بدور رجل دين فاسد، فوقرت فى ظنى الشكوك أن هـــؤلاء المهاجمين إما أنهم لم يشاهدوا الفيلم، أو أنهم يريـــدون ألا يـــراه الناس من الأصل، وإن شاهدوه يشاهدونه وهم مشحونون سلفا إزاء ما يرونه، وأما عن ملابس غادة عبد الرازق فهى ليـــست أفحش من ملابس سميحة توفيق فى فيلم هجرة الرسول، والفارق الوحيد بين دوريهما أن واحدة تتدلل بالفصحى والأخرى بلغـــة العشوائيات.

٤ سبتمبر ٢٠١٠

وقف الكثير من الفنانين وقفة شجاعة ومازالوا، وكفى بهم فخرا أنهم أول من أسقط نقيبهم الموالى للنظام السابق بل وقاموا بعمل قوائم العار لأعداء الثورة وعلى رأسها "الزعيم" عادل امام ومن لف لفه.

بين هشاشة العظام وهشاشة النظام

هشاشة العظام كما هو معروف، داء يصيب النساء اللاتى أنجبن الكثير من الأبناء بشكل متلاحق، ومن يتعرضن لسوء التغذية، ولا يمارسن الرياضة ولا يتعرضن للشمس ويتعاطين المنبهات بكثرة وخاصة القهوة. وحين نتأمل حال بلدنا نجدها مصابة بداء مشابه ولأسباب مشابهة، فهى مصابة بهشاشة النظام وتعانى من كثرة الأبناء ضعاف البنية لأنهم أولاد هرمة، وابن الهرمة هو من يولد لأم قاربت سن اليأس، وهى كلمة عربية فصيحة وهذا هو معناها كما ورد فى المعاجم

وبالتالى كثرت العشوائيات بعدما شاخت الأم وعجزت عن رعاية الأبناء، وعزت الخدمات التى تغذيها وتجدد شبابها من تعليم جيد ومرافق فأصيبت بالترهل والوهن

ورياضة الأمم تتمثل فى حراكها السياسى والثقافى من فنون وآداب إلى جانب الرياضة بمعناها الحرفى، فعانت وعانينا من الركود الذى فتت ركبتيها لينخر الفساد فيها فتخلفنا عن سائر الأمم، وصرنا مهددين بالبتر من أكثر من موضع بسبب الاحتقانات المزمنة التى تنتشر فى الجسد المصرى.

ولا يخفى على أحد أن الشمس المعنية هاهنا هى الحرية والديموقراطية، واللتين أدى غيابهما إلى تفاقم الداء وعجز الدولة

عن النهوض والحركة، مما يضطرها إلى اللجوء للجرعات المنبهة التي وصلت حد الإدمان من طوارئ وفتن تستدعى المزيد مـــن الطوارئ.

فهل تموت مصر أم تتعافى بعد البتر المنشود؟

٤ أكتوبر ٢٠١٠

وأن أحافظ على سلامة القطط

بلغنى أيها الصديق العزيز ذو العقل الفريد والرأى العجيب، أنه قد تم ترشيحى لمنصب وزيـــر الثقافـــة، فـــركبتنى الهمـــوم وساورتنى الشكوك حول جدارتى وحسن إدارتى لتلك العظائم من الأمور

ومن فواجع الكلم ومسببات الندم الانبهار بالبريق وجريـــان الريق أمام المغريات من لذائذ الامتيازات، وشردت مع الأحلام فرأيتنى على البساط وفى يدى ورقة، ليست برشاما ولا حجابـــا بل تحوى القسم فى عبارات على ما قسم، أنظر فيها خلسة لكى لا أعك الدنيا فأخسر الدنيا والدينا

وحين أمعنت النظر وجدتنى وقد أصابنى الدور بعـــد طـــول وقوف فى الطابور، ولولا الكوتشى فى قدمى والجيتز والتى شيرت على بدنى، لتفتت أقدامى وتكسرت عظامى بانتظار الدور كـــى ألقى بيانى من بعد قسمى وحلفانى بأن أحسن القيام بمهامى وأن أحافظ على سلامة القطط، قصدى سلامة الوطن

وهاهنا راحت السكرة وجاءت الفكـــرة، وتخيلـــت حـــال هريراتى سبعا من الذكور والإناث وقد افتقـــدننى وبـــالوزارة انشغلت عنها فلم أجهز طعاما لها ولم أغير الرملا، فقلت كـــلا

وألف كلا بيق وهريراتى برعايتى أولى، أما المناصـــب فتعـــب ناصب وأما الوزارة فلعنات مستمطرة على رأســـى المـــسكين، فحزمت أمرى وشددت عزمى وحرمتها على نفـــسى حرمـــة الميسر، فكل ميسر لأمر مدبر بيد الخالق المدبر.

٦ أكتوبر ٢٠١٠

كتبت على سبيل الممازحة مع بعض الأصدقاء الذين أبلغونى بحماسة البعض لشخصى الضعيف إلى درجة ترشيحهم لى لوزارة الثقافة خلفا لفاروق حسنى إبان ترشيحه لليونيسكو وذلك على سبيل المزاح لا أكثر ولم يكن ترشيحا حقيقيا، إذ لم يخرج من دائرة الأصدقاء وثرثرقم.

أنجاس مناكيد

شاهدت فيديو كليب لإيكون على صفحة الصديق أ. محمد حلمي هلال يسخر فيه وفرقته من العرب ويتراقصون فيه على البسملة والآية الأولى من فاتحة القرآن، فلم أملك إلا تذكر البيت الشهير لمن ملأ الدنيا وشغل الناس أبى الطيب المتنبى فاستعنت به فى الرد والتعقيب على الكليب السخيف، والمدهش فى الأمر أن انبرت لى سيدة فاضلة تتهمنى بالعنصرية وبأننا نضع رؤوسنا فى الرمال ونتغاضى عن أفعال أثرياء النفط، تلك الصورة النمطية التى صدقناها فغفلنا وتغافلنا عن فقراء الخليج وعن مثقفيهم ومناضليهم، وارتضينا لهم صورة الشيخ فى الفيلم الشهير. لذا كان هذا هو ردى على الأخت الموقرة درءا لأية شبهة أو التباس يمس عقيدتى بسواسية البشر أجمعين، بيد أن هذا لا يعنى أن أخلاقهم واحدة، وإليكم الرد

لا اهين الأفارقة، وإنما استشهدت ببيت شهير للمتنبى، والمقصود هاهنا ليس عرقا أو لونا، بل المقصود هو تاريخ هذه السلالة التى اختطفت وبيعت كالأنعام فأكسبها القهر صفات لم تتخلص منها الأجيال الجديدة بعد، ولنقل بعضهم كى لا نقع فى مغبة التعميم كما يحدث معنا حين نوصم بالتخلف والإرهاب، وعبارتى هذه ليس بها تجن على أحد، حيث أننى أقصد شريحة

اجتماعية خاصة ذات ظروف خاصة، ولكى أبسط لك الأمر من منا لم يشك من أخلاق الخدم وخبث طويتهم؟ من منا ليس له مع الخدم ذكرى سيئة وإن أشفق عليهم وترفق بهم، لؤم الطباع يا سيدتى إرث القهر ويحتاج للكثير من التطهير

سؤال أخير لم تجرأ علينا إيكون الذى فرح البعض بإسلامه ولم يتجرأ على اليهود، أم أننا الحيطة الواطية التى يستمرئ الجميع القفز من فوقها لغرضه المريض؟ هل أصابتنا مازوكية تجعلنا نستعذب هجوم الآخرين علينا بالحق وبالباطل أم أصابتنا البلادة؟ أما أننا صرنا كهؤلاء العبيد؟

• هامش: وحين ختمت كلامى بكلمة هؤلاء العبيد لم أعن عرقا معينا بل عنيت عبيد الأفكار الجاهزة والقوالب التى يتم تصنيف البشر على أساسها.

التنميط والانغلاق الفكرى فى نظرى من أعتى أشكال العبودية.

٦ نوفمبر ٢٠١٠

---

* فى تلك الآونة كثرت الحملات على مصر والمصريين ومحاولات للنيل من شعورهم بذاقم وتكريس مشاعر الدونية والقهر من الداخل ومن الخارج، وفى ظنى أن تلك الحملات كانت محاولات لاجهاض الثورة التى احتبلت بها البلاد منذ ٢٠٠٦ ولم تنته حتى يومنا هذا حتى بعد ثورة ٢٥ يناير.

* تعاود الإطلال برأسها المشوه مجددا للنيل من سمعة الشهداء والثوار والأسماء الكبرى من المناضلين الشرفاء بمختلف توجهاقم فى محاولات دؤوبة لرد المواطن إلى حيرته ولا حيلته فيما يدور حوله.

الرئيس الذى أريده

يوما ما قلت لواحد من أبنائى الشباب جيلكم سيثأر لجيلنا، وها قد عشت لأرى ثورته الميمونة أتمها الله بكل الخير. وحين التف القوم حول عمرو موسى تارة والبرادعى تارة أخرى، قلت كفانا عواجيز، أريد رئيسا شابا طموحا يمكنه التواصل مع الشباب، فنحن قد انتهى دورنا وتحجرت عقولنا ولم نعد قادرين على التعاطى مع آليات العصر الجديد.

لا أريد رئيسا يفلقنى بأخبار حرمه المصون، أريد رئيسا يتخلص من منصب سيدة مصر الأولى الذى يكون بوابة خلفية للفساد والمحسوبية.

أريد رئيسا يتخلص من طاقم المنافقين، لا أريد رئيسا تسبنا عساكره بأولاد المفعولة، وبديهى ألا يرفعوا أيديهم وأحذيتهم الثقيلة على أى كان حتى لو كان مجرما عتيد الإجرام.

أريد رئيسا يسمح لنا بزراعة القمح.

لا أريد رئيسا أصم العقل والفؤاد، لا أريد رئيسا نعبده من دون الله.

أريده عبد الله، بل عبدا من عباد الله.

فهل هذا كثير؟

٥ فبراير ٢٠١١

سيري ويري يا واد

سيرى ويري

فى الجيل الذى نشأ فيه مبارك، وبخاصة فى الطبقات الشعبية، كان الكثير من الصبية مولعين بلعبة سيري ويري، وقانون اللعبة ببساطة أن يقف الواحد منهم على القضبان متحديا القطار القادم ويغنى سيري ويري يا واد سيري ويري وهو يهز وسطه مستهزئا به، والفائز هو من يبقى على القضبان لأطول فترة ممكنة ثم يقفز بخفة بعيدا عن القطار قبل أن يدهمه. بيد أن الكثيرين منهم كانوا يسيئون التقدير أو تخذهم أرجلهم فيفقدوها أو يفقدوا حياتهم.

وحسب ما نراه من عناد مبارك إزاء المطالبات الشعبية والدولية بتنحيه أظنه كان من المغرمين بهذه اللعبة وأنه لم يهزم فيها فى صباه، وأنه ما زال يمارسها حتى يومنا هذا رغم أعوامه الثمانين ظانا بنفسه القدرة على هز الوسط لمجرد أنه يستعمل صبغة شعر فاخرة ويسبسب حاجبيه، ولكنه نسى أن الشيخ لا يعود لصباه ولو ابتلع داود نفسه، فالقطار آت أت ولا أظنه

ناجيا هذه المرة من قطار التغيير وأنه مفروم مفروم مفـــروم يـــا شعبُ.

٦ يناير ٢٠١١

كتبت بعد عبارته الشهيرة "لم أكن أنتوى".

يطالبنا بالاستمساك بالداء

فى حلقة من برنامج الحقيقة للإعلامى اللامع وائل الابراشى، والذى أتابعه بشكل متقطع عند الضرورة القـــصوى لتحفظـــى الشديد على اسم البرنامج، إذ أن مجرد تسمية برنامج ما بالحقيقة يسقطه فى فخ الأكاذيب، ولا أعنى بذلك أن البرنامج يقوم على الأكاذيب ولكن من الغفلة أن نظن أنه يمتلك الحقيقة كاملة، بل ظلا منها. فى تلك الحلقة المذكورة كان من بين الضيوف النائب السابق طلعت السادات، ولكى أتحرى الصدق احتراما للقـــارئ شاهدت مقتطفات من الحوار الذى لا يعنينى منه شـــيء ســـوى أمرين، الأول أننى اشتممت تكريسا لتكبيش العادلى، أى جعله كبش فداء، فإلى حيث ألقت فتلك هى خاتمتـــه المتوقعـــة هـــو وأمثاله.

أما الأمر الآخر وهو الأجل والأفدح، فهى تلك الحمية والهبة التى انبرى بها السادات للدفاع عن كرامة الـــوطن متمثلـــة فى كرامة مبارك!!!

نعم يا اخويا!!!؟ لم إذا قامت الثورة؟ أو لم تقـم لاسـترداد كرامة المواطن المهدرة والتى تلتفون عليها لتجعلوها ثورة جياع؟

أو لم تقم الثورة لنكف عن عبادة الفرد؟ بل والمؤسسات التى تفرز هذا الفرد؟

أتطالبنا يا سيادة النائب بالحفاظ على كرامة من ضيع كرامتنا لمجرد أنه ينتمى للمؤسسة العسكرية بدلا من التبرؤ منـه ومـن أفعاله؟

أفلا يجدر بالمؤسسة العسكرية أن تتاوى عاره؟

ودعنى أتساءل، لم اكتفيتم بمعاهدة السلام مع اسـرائيل ولم تتعلموا منها الديموقراطية الحقة؟ لم لم تتعلموا مـن اسـرائيل أن العسكرى الذى يريد خوض غمار العمل السياسى والحزبى عليه أن يعتزل العمل العسكرى أولا كى لا يكون محسوبا على تلك المؤسسة العسكرية؟

لم لم تتعلموا منها ألا أحد فوق المساءلة القانونية؟

ثم تأتى الآن وتطالبنا بالاستمساك بالداء وفرعنـة الفرعـون الذى طغى لمجرد أنه يوما ما ارتدى بزة لم تعد تناسـبه ولم يعـد يشرفها؟

أف لكم ولما تعبدون.

كلمة أخيرة، مصر فوق مبارك وفوق المؤسسات قاطبة، ودم الشهداء سيبقى بيننا وبينه هو وزبانيته ليوم الدين.

٧ فبراير ٢٠١١

أتطالبنا يا سيادة النائب بالحفاظ على كرامة من ضيع كرامتنا لمجرد أنـــه ينتمـــى للمؤسسة العسكرية بدلا من التبرؤ منه ومن أفعاله؟

وبعد أقل من عام على خلع مبارك تحول الهتاف من الجيش والشعب ايد واحدة إلى يسقط يسقط حكم العسكر، بل وشتيمة المشير طنطاوى فى عز ســـطوته وفى عز احتمائه بالبزة العسكرية، مما يفصح عن التحول النـــوعى الـــذى أصـــاب المصريين بعد كسرهم حاجز الخوف.

جمل ودبابة ومهمات عسكرية

كان خريج كلية الفنون الجميلة وتم تجنيده كباقى الشباب، وفى المعسكر أصابه الملل فلم يجد سوى هوايته ملاذا وهى الرسم، فأخذ يرسم على الخيمة التى يبيتون فيها، وكان فنانا بحق فصارت الخيمة رائعة المنظر، فإذا به يتعرض للمحاكمة بتهمة إتلاف مهمات عسكرية!!!

وقعت هذه الحادثة فى أوائل الثمانينيات للفنان التشكيلى يوسف شاكر رحمه الله، وقد قفزت إلى ذاكرتى بقوة حين رأيت الدبابات والمصفحات فى ميدان التحرير مكتوب عليها يسقط حسنى مبارك، بل وتعدت المسألة الهتافات والشعارات لتصل إلى حد الشتائم باللغتين العربية والانجليزية، فخطر ببالى حينئذ أن بين الحادثتين ما يناهز الثلاثين عاما، فهل خفت صرامة الجيش فى تلك الفترة؟

ثم جاء الهجوم المباغت بالجمال والخيول على المتظاهرين فى ميدان التحرير، ليقفز إلى ذهنى فى الحال تلك الممرات التى كانت تحتشد بنا والتفتيش الذاتى الذى تعرضت له وكيف طلبت منى الفتاة التى تفتشنى اخراج المحمول من جيبى للتأكد من كونه هاتفا محمولا وليس أى شيء آخر، فهل ارتدى الخيالة والهجانة

طواقى الاخفاء كى يصلوا إلى الميدان!؟ ثم علمت بعد ذلك باحتراق بعض المصفحات العسكرية على يد البلطجية وتسامع الناس باستشهاد بعض جنود الجيش، فأى قوة فاجرة هذه التى تتجاسر وتتلف مهمات عسكرية اتلافا حقيقيا، بل وتقتل أفرادا من الجيش!؟

ولم تنته أعاجيب الثورة بانضمام أحمد شومان واثنين من زملائه لصفوف الثوار، ولا بالتحية العسكرية التى ألقيت لشهداء الثورة مع تجاهل لأداء مثلها لمبارك ليتم تنحيته بعدها كما توقع الكثيرون، العجيبة التالية كانت فى التماسات المواطنين للعفو عن أحمد شومان وفى هذا ما لا يدعو للعجب، العجيب فى الأمر حقا هو استجابة الجيش ــ أو ما بدا استجابة ــ لهذا المطلب فجاءتنا البشرى بحفظ التحقيق على صفحات الفيس بوك فى شكل بيان صادر عن القوات المسلحة من خلال صفحة الجيش التى أنشئت للتواصل مع الجماهير وخاصة مع الانتلجانسيا الجديدة التى تؤجج الثورة وتحركها وهم كتاب الانترنت، وللحق أن الجيش تعامل مع الثوار بسعة صدر وحلم مشهود لهما بيد أن الاستجابة للمطالب الشعبية تكاد تنحصر فى الاستجابة للمطالب العاطفية من عينة حفظ التحقيق مع شومان وزملائه، أو القبض على العادلي وعز الخ... أما المطالب العملية والكفيلة بتهدئة الثوار وعودة الحياة إلى مسارها الطبيعى، بل

مسارها المنشود والذى من أجله قدمت التضحيات، فمازالت قيد البحث بل التسويف، إلى أن حدث ما حدث فى الخامس والعشرين من فبراير ٢٠١١ من فلتان أعصاب من كلا الطرفين ونفاد صبر من كليهما، والتوجس الذى بدأ يقر فى النفوس من أن تكون للجيش أجندته الخاصة، وذلك لأنه من بداهة الأمور أن تلك القوات الخاصة التى تواجدت فى الميدان لم تتواجد بعصيها المكهربة من تلقاء ذاتها، ولم تضرب المتظاهرين من تلقاء ذاتها، فهى ليست حوادث فردية كحادثة شومان ورفيقيه، ليبرز السؤال الجوهرى بأمر من يأتمر الجيش؟

٢٧ فبراير ٢٠١١

ويبقى مصير الرائد أحمد شومان ورفاقه من ضباط ٨ ابريل المناهضين للمشير المقال طنطاوى وزمرته من الفاسدين، غامضا... ترى هل يخشى الرئيس محمد مرسى ارتداءهم عباءة الضباط الأحرار؟

كحك بسكر.. وأمن الدولة

كنا بنعمل كحك بسكر ست صوانى

دخل علينا بوليس النجدة بتلات عساكر

أولهم

لابس برنيطة

وتانيهم

لابس جاكيتة

وتالتهم

ماسك عصاية طويلة

طويلة طويلة

من هنا للجيزة

من الجيزة للجامعة

ومن الجامعة للجيزة

إلى هنا وتنتهى الأغنية التى كنا نرددها فى طفولتنا منذ ما يربو على الأربعين عاما فى واحدة من ألعاب الأطفال البريئة. ولعل الذاكرة هى التى توقفت عند هذا القدر من اللعبة المصحوبة بالحركة والغناء، ولكن ما بال العقل يستدعيها الآن ويعيد النظر فيها!؟

ألأننا كنا نأكل الكحك بالسكر فى تلك الأيام الخوالى؟ أين هو الآن؟ أين الدقيق؟ أين السمن؟ أين السكر؟ أين فرحة العيد؟

هل سرقها أولئك العسكر؟

أكانت الأغنية توثيقا لنضوب الخير من مصر وغيبة فرحتهم بالعيد على يد هؤلاء العسكر؟

ولم العصا الطويلة؟ ولم المبالغة فى وصف طولها؟ ولم ذكر الجامعة؟ أكانت توثيقا لقمع الحركات الطلابية على يد الممسكين بالعصا؟

يا له من تداع للأفكار ذلك الذى انتابنى حين شاهدت تسجيلا لاقتحام أمن الدولة بمدينة ٦ اكتوبر حيث يظهر فى آخره سيارة تحوى أموالا وآثارا منهوبة من الشعب الذى عدم القوت والأمن حين دخل علينا العساكر الثلاثة؟

صحيح... للعقل الباطن ألاعيبه، ولذاكرة الشعوب حيلها.

٧ مارس ٢٠١١

الكيكا أول دروس الديموقراطية

كنت فى السابعة من عمرى حين تلقيت الدرس الأول فى الديموقراطية، فقد اعتدنا النزول فى صحن العمارة واللعب، وكانت الألعاب تتنوع بين فتحي يا وردة والاستغماية والمساكة وكهربا وكيكا عالعالى والمنديل وروزى روزا الخ تلك الألعاب التى تستنفد طاقة الأطفال

وفى إحدى المرات اختلفنا بين لعبة المساكة التى كنت أكرهها لهزيمتى المتكررة فيها، وبين كيكا عالعالى التى كانت تعفينى من حرج الجرى الأقرب إلى التصوير البطيء، وفى تلك اللحظة انبرت أختى الكبرى التى لم يتعد عمرها التسع سنوات آنذاك وألقت إلينا بالحل قائلة: ناخد رأى الأغلبية، فكانت المرة الأولى التى أسمع فيها هذه الكلمة

ولكن الدرس لم يتوقف هاهنا، فقد أجمعت الأغلبية على لعبة المساكة، فاستجاب بقية الأطفال ماعدا كاتبة السطور لعنادها الشديد، فكانت النتيجة أننى اعتزلتهم وحرمت نفسى من متعة المشاركة لأنى رفضت الرضوخ لنتيجة التصويت العادل

ترى ماذا سيكون حالنا فى الغد؟

١٨ مارس ٢٠١١

كتبت قبل استفتاء ١٩ مارس ــ الشهير بغزوة الصناديق ــ بيوم واحد، وذلك إثر انقسام الشارع بين "نعم" إذن انت مع الله وبين "لا" إذن أنت ليبرالى كافر.

بين فاشية الدين وفاشية الثورة..

فى الرد على حوار مع أ. أنور عبد المغيث

ما معناش ... ما جيبناش... جل من لا يسهو... اعترضى بقى على كلام ربنا

بهذا المنطق يتم تنويم من تصدر له الدين فى النقاش، أما حين تصدر له التوعية والإفهام، فإنك بذلك تضع أول لبنة فى سد منيع بينك وبين أى شخص، تخيل أن يحاورك شخص ما وهو يريد أن يفهمك، أى يضع نفسه موضع الأستاذ ويضعك موضع التلميذ، حتما ستجتهد فى رفضه ورفض تعاليه

والأنكى من هذا حين يبدأ صاحب الخطاب فى اللجوء لحيل تجار الدين التكفيرية، فما إن يضمن بضعة من التابعين والمريدين حتى يلجأ لهذه اللهجة التكفيرية مثلما رأينا قبل الاستفتاء وبعده من تسفيه للاسلاميين وأن من يقول لا فقد خان الثورة، فى تلك الحالة يكون قد خرج من الحوار إلى فاشية مضادة ترتدى ثياب الثورية، فيصبح المواطن بين خيارين... فاشية الدين وفاشية الثورة، لذا يختار فاشية الدين وهو مطمئن لما يظنه تواضعا لله وأحكاما إلهية لا تخدش غروره ولا توقظ كسله العقلى، فى مقابل

الرفض لفاشية الثورة أى فاشية بشر مثله قاموا بإعلان الوصاية على فكره وتنصيب أنفسهم مفكرين عالمين ببواطن الأمور.

كما أن لكل مقام مقال، فاللغة هى أداة التواصل الأولى ومن علم لغة قوم أمن شرهم، وليس بالضرورة أن يكـــون المقـــصود بالقوم بلدانا أخرى، بل هى فى ظنى مفاتيح شخصيتهم، فعلـــى سبيل المثال مدخل التاجر الربح والخسارة، وهو يختلـــف عـــن مدخل العالم الفيزيائى أو الطبيب الخ

وحسب ظنى أن المصطلحات منفرة بطبيعتـــها، وهـــى مـــع الأسف الشديد كثيرا ما تسم حوارات المثقفين لمجرد البرهنة على ثقافتهم

نقطة أخرى هامة وردت فى كلام الأستاذ أنور عبد المغيث، وهى الخوف من تهمة التملق والتى تكتنف المتحدث فى أحيان كثيرة.

٢٣ مارس ٢٠١١

هل سقط الإله؟

هل سقط الإله؟

أحقا سقط؟

هل آن لنا أن نكفر دون خوف؟

هل آن لنا أن نكفر فى أمان؟

أم أنها وسوسات شيطان؟

هل سقط أم اتبعنا الدجال؟

بل ما كان يوما إلها

وما اتبعناه إلا رياء

خوفا وطمعا اتبعناه

فصرنا محض قطعان من شياه

أحقا سقط؟

فلنكفر إذا فى أمان

١٣ ابريل ٢٠١١

ندوة أخبار الأدب

فى ورشة الزيتون

فى الثامنة من مساء يوم الاثنين الموافق ٢ مايو ٢٠١١ أقامت ورشة الزيتون ندوة حول جريدة أخبار الأدب بين الأمس واليوم، وقد شابت الجلسة حالة عامة من الإشفاق على مصير الجريدة وما قد يؤول إليه الحال، وذلك لاعتزاز الحضور بمكانة هذه الصحيفة ودورها فى حياة المثقف المصرى والعربى.

وقد بدأ الأستاذ شعبان يوسف الجلسة بكلمة أشار فيها لفضل أخبار الأدب على المشهد الثقافى، بل وأرخ للحياة الثقافية بما قبل ميلاد أخبار الأدب وبعده، وكانت حيثياته فى هذه الحفاوة بالجريدة أنها ذات رسالة، ومن خلال معاملاته مع الجريدة شهد لها بالبعد عن الديكتاتورية وبالحضور المتنوع على مدى الأجيال، كما أنها كانت ذات بعد سياسى فى أحوال عدة وذات طابع راديكالى، ولم ينف وجود بعض الشوائب بها ككل المؤسسات إلا أن الإيجابيات كانت تفوق السلبيات، فقد قدمت الجريدة ما لم تقدمه أية مطبوعة ثقافية أخرى وكان لها السبق فى كونها جريدة أسبوعية فتفوقت بذلك على مجلة كالهلال مثلا، وأشاد بدور الجريدة فى الاهتمام بكتاب الأقاليم وبالكتاب العرب وتقريب وجهات النظر، حتى برزت بعض الاضطرابات غير الملحوظة للقارئ العادى ولكنها لم تفت على متابعيها وذلك فى السنوات الثلاث أو الأربع الأخيرة. ثم كان ما كان وانهار

أداء الجريدة بشكل حاد ومفاجئ برحيل الأستاذ جمال الغيطانى عن الجريدة وحلول كاتب من آخر الصفوف الخلفية محله مما اعتبره جريمة بحق الجريدة وبحق الثقافة العربية فى وقت نحن فيه فى أمس الحاجة لصوت المثقف، وضرب مثالا بالملف الذى نشرته الجريدة عن أحمد ابراهيم الفقيه والمعروفة صلته بنظام القذافى بل والمخابرات الليبية. وقد أدان الحركة الثقافية العامة واعتبرها متواطئة مع الجريمة التى تحدث فى الجريدة من استدعاء مصطفى عبد الله لشعراء مثل محمد أبو دومه وأحمد تيمور وهم من كتبوا مديحا لمبارك فيما سبق مما يعتبر نوعا من التضليل وهدما للحياة الثقافية وذلك ما حدا بالشاعر أن يناشد الضمير الثقافى للتحرك وإنقاذ الجريدة من المصير المتربص بها من الهيار أو اغلاق.

كما لفت لدور الجريدة فى الاهتمام بقضية التصوف وآداب المتصوفة باعتبار أن الأستاذ الغيطانى نفسه من مريدى هذا اللون من الأدب، والذى شكل حائط صد لجمود الفكر السلفى ومتنفسا للأدباء بلا قيود تذكر. وقد وصف أداء الجريدة بالطفرة فيما يتعلق بمتابعتها للحدث الثقافى من الداخل بل وقبل حدوثه مما كان يشكل حافزا للأدباء للحرص على متابعتها، مثل معرفة المتقدمين لجوائز الدولة التشجيعية وما شابه من الجوائز وعدم الاكتفاء بمعرفة النتيجة النهائية، فكان القارئ يحيط بحجم التنافس على هذه الجائزة أو تلك، مما جعل منحنى الجريدة فى صعود متتال حتى بدأ منحنى الهبوط بعد اختفاء محمود الوردانى

ثم مرض الغيطانى وأخيرا تركه لرئاسة التحرير ليأتى مصطفى عبد الله فيغير شكل الجريدة بشكل كامل وتختفى المقالات النقدية والأبواب الرئيسية بل والكتاب ليحل محلهم من هم أقل احترافية وتقع الجريدة فى أخطاء مهنية لا تليق بها مثل نزول موضوعين على سبيل المثال لأسامة عرابي فى عدد واحد، فأين ذلك من أدائها السابق واختياراتها المذهلة للأعداد الخاصة مثل عدد السرير والحمام والحذاء الخ!؟

وعن محتوى النصوص الأدبية المقدمة فى أخبار الأدب فقد أثنى على القصص التى كانت تنشر بها وأنها كانت تتمتع بثقته وفسر ذلك بوجود ما لا يقل عن عشرة من طاقم التحرير من كتاب الرواية مما جعل ذائقتهم عالية فى مجال القصة والنقد الأدبي، بعكس ملف الشعر الذى اعتبره ضعيفا.

ومن بين المآثر التى عددها الدكتور محمد ابراهيم طه واحتسبها لصالح الجريدة، متابعتها لظاهرة الانفجار الروائى ومساهمتها فى تقديم أسماء صار لها وزنها فى عالم الرواية مثل الدكتور علاء الأسوانى ومى خالد وميرال الطحاوى وغيرهم مما اعتبره رصدا جيدا لتلك الظاهرة.

كما تحدث عن حاجة المثقف الذى لم تكن تكفيه صفحة أو اثنتان على أحسن الفروض فى صحيفة يومية، بعكس أخبار الأدب التى أشبعت احتياجات القارئ فى جرعات أسبوعية

متوزانة متكاملة، فمكنته من متابعة القصة والرواية والترجمة وأخبار المنتديات الأدبية مثل ورشة الزيتون وساقية الصاوى وصولا إلى ندوات قصور الثقافة بالأقاليم. هذا إلى جانب احتوائها فى بعض الأحيان على معارك ثقافية ذات حضور جميل وضرب مثلا بمعركة الدكتور جابر عصفور والدكتور عبد العزيز حمودة، لذلك اعتبر أن على كل مهتم بالأدب أن يقتنيها.

ثم أدلى الدكتور محمد ابراهيم طه الروائى المعروف بشهادته التى وصفها بالمحايدة بوصفه بعيدا عما يجرى فى أروقة الجريدة وبوصفه قارئا ومتابعا للجريدة منذ صدورها الأول، فكان أول ما سجله من تغير فى حال الجريدة أن الصفحات صارت مقتضبة وتفشى الاعلانات بها مقارنا بحالها الأول فى عهد الأستاذ الغيطانى حيث كانت تشبع احتياجات المثقفين بشكل أسبوعى وبالمفهوم المتكامل لمعنى الثقافة، وذلك لتعدد زوايا التناول الأدبى والثقافى الذى اتسمت به الجريدة، مذكرا الحضور بحرص الجريدة على الاهتمام بالفنون التشكيلية وضرب مثلا لهذا الاهتمام بحرصه قبل انتشار الانترنت على قص الأغلفة وجمعها لديه فى ألبوم يحتوى على اللوحات العالمية التى كانت تزين أعداد الجريدة. كما أثنى على تبويب الجريدة فى تلك الفترة، وأشار إلى سنة استنتها الجريدة عند قيامها باستضافة روائى على صفحاتها للحديث عن روايته، وهى قراءة العمل من قبل الصحفى قبل

اجراء الحوار مع صاحب الرواية، مما زاد من الجرعة الأدبيـــة فى تلك المحاورات مع إضافة التـــشويق للقـــارئ لاقتنـــاء العمـــل والاطلاع عليه.

٣ مايو ٢٠١١

ومؤخرا تمت إقالة عبلة الروينى من رئاسة تحرير الجريدة مما أثار أزمة جديدة بين المثقف والسلطة الجديدة، تبعتها عدة أزمات لم تنته بعد، فالمثقف هو طريد السلطة أيا كانت.

سؤال يا عمدة

والعمدة المقصود بالعنوان هو الشاعر محمد عثمان جبريـــل، عمدة شبرا أوسيم بكوم حمادة بمحافظة البحيرة، وهو عمدة هاى كواليتى حسب تعبير ابنتى الحبيبة رنا على، وذلك لأنه يكتـــب الشعر ويتعامل مع الانترنت والمنتديات الثقافية وله أكثـــر مـــن مدونة على الانترنت، مثل بحب الحكومة والدم واللذة والأدباتى

لذا فهو عمدة بمقاييس مختلفة عن الصورة النمطية التى اعتدنا رؤيتها فى الأفلام والمسلسلات، هو ليس كعمدة بلدتى الـــذى كالإله، بل هو متعلم ومستنير وديموقراطى قلبا وقالبا، وهو ثائر منذ أن وعى الحق من الباطل، مما جعله مصدر قلق لأمن الدولة الذى عطل التجديد له فى الدورة الأخيرة لقرابة السنة، ولـــولا التفاف أهل البلد حوله لما تم التجديد له على فص عين الداخلية

وحين قامت الثورة عاد إلى مصر بعد أن كاد يفقـــد الأمـــل ويهاجر لا بحثا عن حياة أفضل، بل عشقا لمصر التى عز عليه أن يشهد ما آل إليه حالها، وحين عاد كان من المشاركين فى الثورة بقوة

حين عاد لم ألتفت آنذاك لمعضلة حقيقية، فقد كانت الثـــورة ثورة شعب فى عموم القطر، وشبرا أوسيم كانت من بين القرى التى ساهم شبابها فى الثورة، والآن وبعد أن هدأت الأمور بعض

الشيء برز التساؤل فى ذهنى، فالعمدة مواطن مصرى ثائر حسب معرفتى به منذ عدة سنوات، وقصائده كانت شديدة الجرأة فى الدعوة للثورة على النظام السابق، ولكنه عمدة، أى جزء من النظام!!! وهاهنا كان العجب، فسألته كيف لم يختلط الأمر على أهل بلدتك الريفية؟ كيف لم يثوروا عليك وأدركوا أنك معهم لا عليهم؟ بل كيف التفوا حولك وهم الريفيون البسطاء؟

فكان رده أنهم يعرفونه ويعرفون توجهاته، هذه واحدة

أما الثانية فهو الوعى المنتشر لديهم فى البلدة ما بين الشباب المتعلم والمتعامل مع الانترنت، وما بين البسطاء منهم وفطرتهم السليمة

وهاهنا تذكرت حديثا آخر دار بيننا عن استغاثتهم به للرد على أحد الأئمة المتشددين والذى احتل مسجد القرية، وحادثا آخر عن مرشح فى الانتخابات حاول رشوة أهل القرية ببناء مسجد وملحقاته من خدمات، فكان رد واحد من الناخبين البسطاء: عاوز يبنى الجامع يبنيه، هو حيشترينا بفلوسه؟

وحينئذ عرفت كم نحن بعيدون عن القرية وأن الصورة النمطية لم تقتصر على العمدة، بل امتدت لتشمل القرية وأهلها، فهل ننتبه؟

١٠ مايو ٢٠١١

أمانة لعصام شرف في رقبة عمر طاهر...
بل في رقابنا جميعا

بما أن د. عصام شرف يتابعك فدعنى أفوضـــك فى بعــض الأسئلة

لماذا يبقى واحد مثل ممتاز القط يقول عنا بلطجية وصـــيع فى مكانه؟ وهل كان د. عصام شرف بلطجيا حين نـــزل التحريـــر حسب كلام القط؟

السؤال الآخر وهو أمانة فى عنقك وأعناقنا جميعا: ما مـــصير المعتقلين فى الزنازين السرية؟ فكلنا نذكر الفيديو المروع للشباب وهم يسمعون الأصوات قادمة من تحت الأرض فى مقـــر أمـــن الدولة ولا يجدون لتحريرهم سبيلا، أحسبهم هلكـــوا جوعـــا وعطشا وأكل بعضهم جيفة البعض ونحن منشغلون بأختى كاميليا وعودة الرق لحل الأزمة الاقتصادية.

٢٦ مايو ٢٠١١

مع الأسف الشديد أهملت ملفات كثيرة، وضاعت حقوق أكثر.

حكاية الغيظ الثالث... يا هيثم

اغتظت ثلاث مرات هذا الصباح، فأصاب ولدى العزيز هيثم قلق من تصريحى هذا ظنا منه أننى (حاطـة مبـارك فى دمـاغى وقاعدة اتغاظ)، ولكن الغيظ لثالث مرة لم يكن بسبب مبـارك واللوع الذى يمارس ضد الشعب وعمليات المكايدة الـتى يـتم دسها لنا من عينة بورتو طرة ومستشفى سبع نجـوم فى شـرم فحسب، أما الغضب الأول فكان لدموع أطفال سـورية الـتى شاهدتها فى فيديو كاصطباحة أولى، ثم خبر الناشطة الكويتية التى تطالب بعودة الجوارى حفاظا على عفة شباب الكويت وما تحمله من نظرة متغطرسة ودونية فى آن معا، فهى ترى بمالها أن كـل الشعوب ما هم إلا عبيد لأموالهم وهى تفكـر بعقليـة المـرأة المستكينة التى لا ترى فى نفسها إلا متاعا للرجل، ثم انـصرفت عن الكومبيوتر وفررت إلى الجريدة فوجدت خبر بطلان محاكمة مبارك لاجراءات قانونية، فوقر فى نفسى أن اتخاذ اجراء باطـل كان مقصودا وتداعى إلى ذهنى عشرات ومئات الحالات الـتى انتهجت هذا الأسلوب لإخراج الفاسدين من خيـات قانونيـة فأظلمت الدنيا فى وجهى وأنا أرى شغل الحواة يمارس ضد ملايين المقهورين عبر السنين من خلال جهاز لطالمـا تغنينـا بتراهتـه

بسذاجة وعبط وكنا نعتبره ملاذنا الأخير وإن تباطـــأ، فمـــات الصبر منى.

٣يونيو ٢٠١١

كانت هذه هى البشائر لتبدأ بعدها معارك القضاء ومهرجان البراءة للجميع.

الفخاخ المبثوثة فى مقال

الفقراء أولا

حين تقرأ المقال تنبهر به للوهلة الأولى، ثم ينتابك الشعور بالذنب إزاء الفقراء وتشعر أن حقهم مهضوم اعلاميا، وخاصة حين يتكلم عن أيقونات الثورة من الشهداء والورد اللى فتح فى الجناين، والمقال المقصود هو مقال الفقراء أولا يا ولاد الكلب لمحمد ابو الغيط، بيد أن المقلق فى الأمر ما ورد فى ثنايا المقال عن العيال السيس بتوع ٦ ابريل وغيرهم، فى حين أنه قام بتمجيد السرسجية حسب تعبيره وأن العيل من دول يضرب الترامادول ويخش يجيب العسكرى!!! مما يذكرنى بكلام القذافى عن حبوب الهلوسة... هذا فخ

ثم نتذكر مشاهد البلطجة والانفلات الأمنى واعلامنا المصرى الذى حاول وصم الثوار بالبلطجة وشباب الفيس بوك بالماسونية والعمالة الخ الخ

وهاهنا يبرز الفخ الآخر حين يتكلم الكاتب عن شباب الطالبية الذين أتوا بالسنج والمطاوى وكسر الرخام، فنزع عنها اسطوريتها فى كونها ثورة سلمية بهرت العالم وصارت درسا تاريخيا

ثم يأتى فخ ثالث عن شهيد استشهد لمجرد أن الحياة استوت عنده بالموت ونقح كلامه بأبيات لدرويش عن الورد والسنابل، فحولها لثورة جياع متجاهلا نداءات الثورة تغيير حرية عدالة اجتماعية، وأن الشهيد المذكور لم يهمه الوطن أو فداؤه

وهاهنا يبرز الفخ الأكبر حيث يتم شق صفوف ثورة ٢٥ يناير الشعبية بقطاع طبقى بعد محاولات دؤوبة لشقها طائفيا وايديولوجيا.

فالحذر الحذر من بتر الصلة بين الثوار والمثقفين.

هامش: وهذا هو فن الدس، فمن ذا الذى يتناول السم من يدك مبتهجا وراضيا من الزجاجة!؟ لابد من عسل للتمويه، ولم أقصد استئثار فئة ما بالثورة بأية تقسيمة كانت، حتى محاولات قصرها على الشباب لهو خطأ بين، فكثير ممن أعرفهم وممن بقوا فى الاعتصام جاوزوا الأربعين، هى ثورة شعبية ولا أكثر.

هامش*: حين كنت فى الميدان يوم جمعة الغضب، تهت عن المجموعة التى كانت معى، وأمسك بيدى وحمانى من جنود الأمن المركزى شاب اسمه صلاح وهو من الوراق، ولم يكن مغيبا أو متعاطيا للترامادول، أما اليد الأخرى فأمسكها شاب سلفى ممن

يرتدون البيجاما الهندية، جلباب للركبة وبنطلون وكان ملتحيا، كنا يدا واحدة بالفعل.

١٨ يونيو ٢٠١١

اتهمت آنذاك بالبورجوازية وبالتحامل على كاتب المقال والذى احتفى به الإعلام الفلولى آنذاك، ثم تفتت القوى الثورية وبترت أصابع اليد الواحدة وحل التربص والتخوين بين كافة القوى وبعضها البعض.

كشف حساب

يا جيش مصر العظيم، تمن علينا بأنك كنت حاميا للثورة وهى مسألة فيها نظر

حين خرجت للشوارع لم تخرج لحماية الثورة، فهل يحمى الثورة من يحلق بالطائرات الحربية على ارتفاع منخفض معرضا الأفراد والمبانى للخطر؟

وحين ارتكبت الداخلية وعلى رأسها حبيب العادلى خيانتها العظمى وتركت الشوارع بل ولم تكتف بذلك وفتحت السجون واطلقت عشرات المجرمين لترويع المواطنين، ماذا فعلت؟

تركت المتحف المصرى ينهب لولا تصدى شباب الثورة للصوص، وحين ائتمنوك على من امسكوا بهم ماذا فعلت؟

حولت المتحف لفرع من فروع سجونك الحربية لتعذيب الثوار واختبارات العذرية وتصوير االفتيات أثناء تلك الاختبارات.

أيها الجيش أنت متهم بخيانة مصر.. أقول الجيش ولا أقول المجلس العسكرى.

وأخيرا تلقون بالتهم على شباب مصر الشرفاء وتتـــهموهم بالعمالة، وهى مسألة تسيء لكم أولا يا من صدعتمونا بأسطورة رفعت الجمال الشهير برأفت الهجان.

إذ لو كانوا عملاء كما تدعون، أين كنتم؟

كل ما نطلبه من ثورتنا أن نصبح آدميين، لا قطعان من الخراف تسوقوها نحو مسالحكم وقتما شئم

لن تعود الثورة للخلف ولن يحكمنا العسكر شئتم ام أبيتم.

٢٣ يوليو ٢٠١١

الجدير بالذكر أن الاحتقان بين الثوار والمجلس العـــسكرى آنـــذاك اســـتمر فى التصاعد حتى وقعت أحداث مجلس الوزراء وحادثة الفتاة المسحولة التى أثـــارت جدلا واسعا والتى زادت الهوة بين الجيش برمته والكثير من المواطنين.

كسر الصينى

ما الذى يدفع الصين بجلالة قدرها لمحاربة الاقتصاد المصرى بواسطة جنيهاتها المزيفة؟ هل سينتعش اقتصاد التنين الآسيوى ببضعة قروش تسرق من دماء الشعب المصرى؟

لم هذا التصرف العدوانى؟

فى ظنى أن الصين تعاقب المصريين على ثورتهم، وتساهم فى ضعضعتها وإجهاضها، لا لترة بيننا وبينها، ولكن اجتنابا لعدوى الثورات العربية، فهى كما يقول المثل العامى "من غير دف بترقص"، وتعانى اضطرابات داخلية منذ فترة طويلة، ولديها صداع الانفصاليين من جهة والمطالبون بالديموقراطية من جهة أخرى. ولو هب الشعب الصينى لأفلت الزمام من يدها، ومما يعزز ظنى الخبر الذى

ورد منذ فترة عن حجبها لكلمة مصر وكلمة ثورة فى جوجل، وكذلك الاحتجاجات التى قامت فيها منذ قرابة الشهر

ولئن كنا نفخر بصورة الشاب الذى تصدى لمدرعة ترش الماء، فللصين سابقة فى هذا المضمار ولكن لشاب تصدى لدبابة، وهى ليست على استعداد لتيان ان مين أخرى وهى صاحبة

الملف الأسوأ فى مجال الحريات وحقوق الإنسان، لذا ليس من المستبعد أن الصين فعلت ما فعلت حرصا على مصلحتها واستباب نظام الحكم لديها، وكما هو ملاحظ اختفاء الدلالات الصينيات اللائى كن يجبن الشوارع ويطرقن الأبواب منذ اندلاع الثورة، فأين هن الآن؟ هل عدن إلى بلادهن ليزدن من عبء البطالة؟ أم أهن باقايات فى مكان ما لغرض ما؟ هل اقتصر وجودهن على الدلالة أم أن للأمر دلالات؟

ويبرز سؤال آخر، هل غاب عن الحكومة الصينية بأجهزتها الجبارة هذه الفعلة التى تدخل فى باب التحرش والذى لم يكن الأول وإن كان مغايرا، فكم من المرات سمعنا عن أحذية و"شباشب" صناعة صينية مكتوب عليها لفظ الجلالة، وكانت حجتها أنها تظن أنه مجرد نقش كأى من نقوش الزينة وتعزو فعلتها لفروق حضارية ومعرفية!! وكأن الصين ينقصها العلم!!!

هل ستعتذر الصين عن جنيهاتها المزيفة وتلقى باللائمة على عصابات الجريمة المنظمة؟ أم ستنظر إلينا من عل وتكتفى برد فعلنا المتهافت وبتهافتنا على منتجاتها الرخيصة.

آن لنا أن نقول لا للمنتج الصينى، ولمنتج مصرى من منتجات بير السلم أفضل عندى من الأيزو الصينى

لابد من احتجاج شعبى ورسمى وتفسير لهذا التخريب المتعمد، وألا يعمينا التوجس من التدخل الأمريكى والتحرشات الصهيونية والدعم الخليجى لفلول النظام عن التربص الصينى بنا.

الخطر محدق محدق محدق.

٤ سبتمبر ٢٠١١

فى تلك الفترة انتشرت على الفيس بوك وفى المواقع الاخبارية صور لجنيهات صينية مزيفة، وللحق أقول: لا يقين لدى بصحة هذا الخبر، بيد أن مخاوفى من الصين لم تهدأ للأسباب الأخرى الواردة بالمقالة، فآثرت نشرها مع ترك أمر التدقيق والفحص للقارئ، إذ لا أدعى فهما كاملا للأمور ولا الإحاطة التامة بالحقائق.

الحالة المصرية

الإعداد لكشوف الناخبين يثير قلقى بالنسبة للانتخابات، فهو يضعنا فى حيرة مما هو قادم، إذ يبرز سؤال حول آلية الانتخاب، هل سيكون بالبطاقة الانتخابية ومن ثم يفتح باب التزوير على مصراعيه كالعهد السابق، أم بالرقم القومى؟

أما عن مسار الثورة فبه الكثير من العثرات نتيجة لمحاولات الأقليات استثمار حالة الاسلاموفوبيا المسيطرة على الشارع المصرى والتخوف من النموذج الطالبانى والنموذج السعودى الخليجى – لصالح مطالب عاجلة وفئوية. ويزيد من هذه المخاوف وهذا الشقاق تاريخ الإخوان الذين لم يتخلوا عن انتهازيتهم حين هرعوا للتفاوض مع عمر سليمان قبل نجاح الثورة، وقد ورث شباب الإخوان تركة مليئة بمثل هذه المواقف، وبالرغم من كل التحولات التى تشهدها الجماعة يظل هذا الميراث وصمة ولعنة تطاردهم عند المشاركة فى الحياة السياسية.

أشد ما يعين الفلول كما هو واضح هو حالة التربص بين فصائل الثوار المتعددة وانقسامهم، ويأتى تراخى الحكومة فى تسيير الأعمال ليزيد الطين بلة، وقد حرص عصام شرف فى أكثر من موضع على التوكيد على أنه يأتمر بأمر المشير، وقد تجلى هذا

التوكيد حين سافر إلى الخليج للشحاتة علينا وأفصح عن كونه مسافرا بتكليف من المشير، وبالتالى فإن الخيوط كلها تتجمع بيد المشير المدعوم أمريكيا كى لا تتوقف المعونة التى تسمح لهم بالتدخل وكذلك صفقات السلاح. ولا يعنى هذا أن الحكم العسكرى قادم، ولكنه سيئول إلى حكومة برلمانية تحركها المؤسسة العسكرية من وراء ستار مما يجعلنى أتوقع أن يأتى عمرو موسى للرئاسة بدعم من الجيش ومن أمريكا لكى لا يتخذ قرارات فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية ودعم الثوار فى سوريا لا ترضى عنها اسرائيل.

كل ما مضى هو طرف واحد من المعادلة، أما الطرف الآخر غير المحسوب وغير المحسوم فهو قدرة الجماهير على معاودة التلاحم لإجهاض هذا المخطط، وعودة الثقة بين الجماهير والمثقفين ـــ الشرفاء منهم ـــ وغربلة الحياة الثقافية من الأدعياء، ولكى يتم هذا لابد من تطهير وتحرير الإعلام والمؤسسات الثقافية، وكذلك تطهير الجامعات واتحادات الطلاب فى الجامعات والمدارس، وتطهير النقابات وعند اللزوم إسقاطها وتكوين نقابات بديلة، كما لا يفوتنا أهمية تطهير النوادى الرياضية والاتحادات الرياضيةلأنها منفذ واسع لفلول النظام، حتى الآن لم نسمع عن حل مجلس إدارة أى من النوادى الرياضية والتى كان الحزب الوطنى موجودا فيها بقوة.

الخلاصة يجب أن يكون لدينا مكيال واحد نزن به كل خطواتنا القادمة، أهو فى صالح مصر الثورة أم ضدها؟

٧ سبتمبر ٢٠١١

يقول المثل العامى "اللى يخاف من العفريت يطلع له"، فها نحن تحت حكم الإخوان بل ورئيس من الإخوان بعد أن شل حركتنا الفزع من حكم الإسلاميين من إخوان وسلفيين، فمتى نتعلم مواجهة مخاوفنا... بالطريقة الصحيحة؟

يا شيخة

من المؤكد أنك ستفهم المقصود من عنوان المقال لو كنت تابعت الفيديو الشهير لمن تسمى نفسها بالشيخة ماجدة، ولكن قبل أن تتعجل وتعتبر نفسك قد فرغت من معرفة فحوى المقال دعنى أستدرجك نحو هواجسى وظنى السيء الذى أعتبره من حسن الفطن ويعتبره البعض خضوعا لنظرية المؤامرة والعقل التآمرى

حين شاهدت الفيديو لم أتمالك نفسى من الضحك كما يقول الكليشيه الأكثر شيوعا للتعبير عن مهزلة ما، وتملكنى العجب من حجم الغباء الفادح فى كلامها. فكان التبرير السهل أنها مأجورة وتحول الأمر لمادة للتندر على غبائها وأن تلك هى عينة أبناء مبارك ومن خلف ما مات

وبمعاودة النظر فى الرسالة الموجهة من هذا اللقاء الذى صبر عليه المذيع صبر الأنبياء، وجدتها أعمق بكثير من مجرد ابراز غباء أتباع مبارك فى ولائهم له، بل وأكبر من استعراض قدرة النظام المتفانى فى الحفاظ على مكانه ومكاسبه بواسطة المال وتوظيفه لتأجير مثل تلك المرأة

فمن لديه المال لاستئجار مثل هذه السيدة، لديه ما يكفى من المال والدهاء ليتخير من يخرج على الناس بكلام يصدقه عقل، لا كلام حشاشين معاتيه، فما الهدف إذن!!؟

فى ظنى السيء أن الهدف الأول هو تخديرنا مؤقتا بمادة للتفكه تطغى على البيان الساقط الذى صدر عن مجلس الوزراء وألقاه وزير الإعلام وهو خفيض الرأس منكسرة عينه بعد عملية زراعة القرنين بنجاح

أما الهدف الثانى فهو أن نستنيم لغباوتهم الظاهرةفيدهمنا الغرور ويعمينا عن مكائدهم ، ومن بداهة القول أن فخ الأذكياء هو الاستخفاف بذكاء الخصم

الهدف الثالث هو بجاحة الاستخفاف، حين يرى الناس الاستخفاف بهم وبعقولهم وبتبجحهم بالغباء، يكون رد الفعل فى تلك الحالة هو الشعور باليأس والإحباط إزاء سطوة المال وقدرته على شراء الذمم والأبواق بهذه الطريقة المفضوحة والتى تعمدوا أن تكون مفضوحة

مما سبق يخيل إلى بما يشبه اليقين أن النظام السابق وفلوله لديه جيش من الخبراء النفسيين والإعلاميين والاجتماعيين الذين تنحصر مهمتهم فى اللعب على العقل الباطن والتأثير الغير المباشر، جنبا إلى جنب مع البلطجية المأجورين وبلطجية

الانترنت وأخيرا الاستحواذ الكامل على الإعلام وأداتـــه الأولى وهى الميديا، فهل ننتبه؟

٨ سبتمبر ٢٠١١

وجدير بالذكر تسرب مقولة مفادها أن المجندين فى الجيش ملزمون بمتابعة قناة الفراعين وبالأخص توفيق عكاشة، ولا أدرى مدى صحة هذا الكلام.

عبد الناصر يخترع الفنكوش

"ولا أعرف لماذا تخلي عبدالناصر - سريعا - عن صفة إنكار الذات، لأن العدد الثاني مباشرة، والصادر في ١٥ أكتوبر، أفصحت المجلة عن هذا البطل المرموق، وجاء الفصل الثاني من المقالات: «كيف دبرنا الانقلاب» بهذا التقديم: «استطعنا أن نقنع أحد أبطال التحرير.. أحد الذين رسموا الخطوط الأولي في تلك الحركة أن يكتب قصتها.. قصة الكفاح الطويل الذي قام به أبطال مصر في سبيل مصر، ونشرنا لك الجزء الأول من هذه القصة الوطنية في العدد السابق، فتوالت علينا مئات الرسائل والبرقيات تسأل.. من البطل؟"

الاقتباس السابق من مقال الأستاذ شعبان يوسف فى العدد الجديد من مجلة روز اليوسف والذى حمل عنوان "رواية ناقصة من تأليف البكباشى جمال عبد الناصر"، أما الفنكوش فقصته معروفة ولمن لا يعرفها لنا تعقيب عليها فى لاحق السطور

وقد ذكرتنى العبارة المقتبسة بأسلوب الدعاية الأمريكية وكأننا بإزاء اعلان أمريكى من تلك الإعلانات التى تبدأ فى

الترويج لسلعة ما من قبل أن تطرح فى الأسواق، وخلق حاجة ملحة لدى المستهلك لاقتنائها بعد الدخول إليه من مدخل الفضول، وقد يتعاقد عليها قبل أن تطرح فى الأسواق وهو مغمض العينين مكبل الوعى بحاجته الفعلية لهذا المنتج من عدمها. بل وقد يتم الإعلان عن المنتج ـ الغير المنتج بعد ـ والترويج له قبل أن يكتمل التصور النهائى له، فالهدف الحقيقى هو السيطرة على السوق أى الجماهير، تماما كما حدث مع الفنكوش الذى ظهر فى أحد أفلام عادل امام الشهيرة وهو المأخوذ عن الفيلم الأمريكى حديث الوسادة لروك هدسون ودوريس داى،حيث تم الإعلان عن منتج وهمى ومن بعدها لجأت الشركة المتورطة فى الإعلان لجهبذ من جهابذة الكيمياء ليبتكر لهم شيئا ما، أى شيء ليقدموه للمستهلك، فكانت الحلوى "المُسكرة" والتى تفوق فى تأثيرها الخمور، ويتم إعدام المنتج قبل طرحه فى الأسواق لقاء عرض مغر من شركات الخمور المهددة بالإفلاس.

وهو عين ما حدث أو لنقل ما ورد فى مقالة الأستاذ شعبان يوسف، بدءا من الترويج للبطل المتواضع، ثم الاستعانة بجهابذة المثقفين شأنهم فى ذلك شأن المخترع اياه، كى يسوق لهم

انقلابهم باعتبارها ثورة، ثم كما حدث فى الفيلم بالضبط، انحرفت السلعة المطروحة على استحياء عن مسارها لتدخل البلاد فى أزمة مارس ١٩٥٤، ليتم بعد ذلك الإطاحة بالسلعة المروج لها بشكل تام ويكتشف الشعب أنه اشترى الترماى بحكم عسكرى يــأبى العودة إلى ثكناته منذ تلك اللحظة وحتى يومنا هذا.

٢٥ سبتمبر ٢٠١١

والآن وبعد مرور حوالى عام على تلك المقالة تغيرت الأوضاع بإقالة المشير طنطاوى وتواريه عن الصورة، ولكن لم تهدأ خواطر الكثير من القوى الثورية التى ترى فى إقالته ومنحه قلادة النيل خروجا آمنا وعفوا عن قتلة الثوار.

الغوغائية والعنف صنوان

لا يفترقان

فى ستاتس أثار الجدل حول موقف الليبيين من القذافى طلبت ممن يعيب عليهم أن يحط الجزمة فى بقه ويسكت لو أنه عانى مما عاناه الليبيون، وما أقصده بكلامى أن أعقل الناس أعذرهم للناس، والمجتمع الدولى فلقنا بنفاقه ومكاييله المتعددة، لم أشفق على القذافى قدر ما أشفقت على من قتلوه لما تخيلته من معاناهم على مدى العقود حتى وصل بهم إلى هذا الحال، ولم أنس انه استأجر مرتزقة من الأفارقة لقتلهم بأموالهم التى نهبها ، ومن المؤكد أنهم لم ينسوا كذلك وأن جراحهم مازالت نازفة، وقبل أن نعيب عليهم فلنتذكر ما حدث منذ أسابيع قليلة فى كفر الشيخ حين فتك الأهالى بالبلطجى الذى كان يروعهم، هى لحظة جنون مؤقتة لم تولد من فراغ، وإنما ولدت كما أسلفت من سنوات القهر والخبرات المؤلمة وعززها الطبيعة الغوغائية للجماهير، وليست كل الجماهير قادرة على ضبط النفس والتمسك بالمقاومة السلمية ولابد وأن يشوبها بعض الانفلاتات هنا وهناك، أما الغالبية العظمى فتدخل فيما يشبه الحمى أو الهيستيريا الجماعية، مثلهم فى ذلك مثل تلك القرية اللبنانية التى نكلت

بشاب مصرى، ومثـــل جمـــاهير الثـــورة الفرنـــسية وجمـــاهير الامبراطورية الرومانية فى مباريات العبيـــد وجمـــاهير مـــصارعة الثيران، الغوغائية والعنف صنوان لا يفترقان.

٢٢ أكتوبر ٢٠١١

للأسف الشديد أصابت مصر العدوى على نطاق محدود مع بعض البلطجية الذين اعتادوا ترويع المواطنين وفرض الإتاوت عليهم، وفى ظل الغياب الأمنى وتقاعس الشرطة لم يتوان بعض المواطنين على القصاص بأيديهم ما بين الفتك والحرق فى بعض المحافظات المصرية.

ولكم فى الإنترنت حياة

يا أولى الألباب

فور إعلان فوز الشاعر السويدى "توماس ترانسترومر" بجائزة "نوبل" فى الأدب، انتشر على موقع التواصل الاجتماعى الشهير والمثير للجدل "فيسبوك" صورة لغلاف لترجمة الأعمال الشعرية الكاملة له وأسفل الصورة رابط لتحميل العمل، ومن المؤكد أن مثل هذه الصورة وغيرها لم تنتشر على الفيسبوك فحسب، أغلب الظن انها انتشرت فى المواقع الأدبية والمدونات المتخصصة والمدونات الخاصة.

وبالنظر لدلالات هذا الحدث وغيره من الأحداث المشابهة على المستوى الثقافى يتراءى لنا أهمية الانترنت ودوره فى نشر الثقافة التى باتت تعتمد فى الكثير من الأحوال على الشاشات، وذلك بعد أن فاق فى بعض الأحيان وكالات الأنباء والفضائيات فى سرعة نقل الخبر بل وفى دقته ومصداقيته فى أحوال أخرى.

واللافت فى الأمر أن مستخدمى الانترنت أصبح لديهم ما يماثل قرون الاستشعار التى تعينهم على سرعة الفرز والتمحيص فيما يعرض لهم من أخبار ومن صور قد تكون مدسوسة أو

مفبركة، كما اكتسب الكثير منهم ملكة التثبت والتدقيق والمقارنة للخلوص بأقرب وجه للحقيقة التى يبحثون عنها. وقد أصبح الانترنت وسيلة مقاومة فضلا عن كونه أداة معرفة أو تسلية أو تواصل، ولا أعنى بهذا الدور المشهود الذى لعبته المدونات مثل مدونة "نوارة نجم" وكذلك موقعى الفيسبوك واليوتيوب فى مجريات الثورة وتوابعها؛ بل أعنى مقاومة أعمق وأشد ضراوة يقوم بها أفراد وجماعات عبر المواقع المختلفة، تلك المقاومة تتمثل فى مقاومة كل من الغزو الثقافى والسطو الثقافى على حد سواء.

مقاومة الغزو الثقافى

ولا أعنى بذلك الصراع التقليدى بين الشرق والغرب وتراثنا العربى الإسلامى والصراع مع المستشرقين وما يرد عنهم، فتلك قضية انبرى لها الأقدمون وأصبحت "تحصيل حاصل"، الغزو الثقافى القائم تهب رياحه من أكثر من جهة، ولنبدأ بأهونها أو ما يبدو الأهون، وهو ظاهرة كتابة العربية بحروف لاتينية، والتى ساهم فى انتشارها الإصدارات الأولى من الهواتف المحمولة التى لم تكن معربة آنذاك، ثم تلتها مواقع الألعاب التى يرتادها الشباب والمراهقون ولا تحوى نسخا معربة فكانت لهم لغتهم الخاصة التى تجمع بين الانجليزية والعربية بحروف لاتينية، ولأن لكل فعل رد فعل... فمن البديهى أن تنتشر على الفيسبوك صفحات رافضة

لهذا اللون من الكتابة والتى تدعو للكتابة بالحروف العربية، هذا عن جهد الجماعات، أما الأفراد فنرى منهم من يرفض التعامل مع من يكاتبه بحروف أو بلغة غير العربية، ولرفع آثار هذا العدوان على اللغة التى أصابتها الركاكة من فرط هجرانها، انتشرت بالمثل صفحات ومجموعات لدعم اللغة العربية وإنقاذها مثل مجموعة "أبجد" التى تعتبر نفسها نموذجا مصغرا من المجمع اللغوى على الانترنت، ومجموعة محبى اللغة العربية ومجموعة اللسان العربى وغيرها الكثير... وهذا على الفيسبوك وحده، فما بالك بذلك الفضاء الشاسع!

كما نجد فى الكثير من المنتديات الأدبية الرصينة والتى تحرص على هويتها العربية تمسكا ملحوظا بها يبدأ من اختيار اسم المستخدم، فتضع شرطا أن يكون اسم المستخدم بالعربية وترفض تفعيل حساب من يكتب اسمه باللغة الانجليزية، وبعضها يرفض الأسماء المستعارة للمزيد من المصداقية والجدية فى التعامل، هذا ولم تعد المساهمة فى المنتديات الأدبية عيبا يمس الأديب أو دليلا على هوان قدره أو الإحباط الذى يدفعه للكتابة على الانترنت من باب البحث عن منفذ للكتابة، فهناك من الأسماء اللامعة والمتميزة التى يمكنك الوصول إليها عبر تلك المواقع، مثل "منتدى القصة العربية" الذى يضم أسماء لها وزنها مثل سيد الوكيل وشريف صالح وهويدا صالح، أو مثل موقع "الحوار

المتمدن" الذى تجد فيه مقالات لأحمد بهاء الدين شعبان ومحمد حسن عبد الحافظ ومدحت صفوت وغيرهم من الكتاب.

هذا عن أمر اللغة، فماذا عن محتوى اللغة وما يهب علينا وبخاصة على مصر؟

لا يخفى على أحد الغزو الوهابى الذى تتعرض له مصر وبالتالى لم يعد خطر الغزو الثقافى قاصرا على "الأعاجم" كمصدر للخطر، بل أصبحت رياح الخطر تهب كذلك من الشرق متمثلة فى ثقافة البداوة التى تزحف على الثقافة المصرية من الجزيرة العربية بل وتأتى من مشرق أبعد غورا محملة بالنموذج الطالبانى العاصف، وفى المقابل يقف لهم المثقفون المصريون بالمرصاد ويتصدون لهذه الغزوات المتلاحقة، فتنتشر صفحات الرفض للفكر الوهابى المتشدد على الفيسبوك محملة بمقالات تنويرية ومقاطع الفيديو التى تفضح فكرهم، وفى أحوال أخرى تنصف ضحاياهم من المثقفين ممن طالتهم يد الغدر والتشويه فى ظل ثقافة الاجتزاء من السياق والاستسهال، وكثيرا ما نرى حروب الفيديو كليب على اليوتيوب والفيسبوك.

وهكذا نرى أن الكثير من المثقفين المصريين غير منبتى الصلة بالثقافة العربية ولكن دون افتئات على هويتهم المصرية السمحة ودون السماح لثقافة دخيلة بطمسها.

فى ظاهرة تكاد تنفرد بها مصر تجد المتربصين بأدبائها ومفكريها، فما ان يموت واحد منهم حتى تجد صيادى المكتبات يتحلقون حول أسرته لشراء مكتبته، وهى جريمة ثقافية تتم تحت سطوة الإغراءات المادية فى بعض الأحيان وفى أحوال أخرى تتم عن جهل من ورثة الأديب الراحل، ومع الأسف الشديد ليست لدينا ثقافة متاحف العظماء، ومازال القلب يدمى لهدم فيلا أم كلثوم التى لا تقل فى أهميتها التاريخية عن بيتى بيتهوفن أو شيكسبير فى ألمانيا وبريطانيا، فغياب الوعى وضعف دور المثقفين آنذاك وضعف اتصالهم بالجماهير — حيث لم يكن الانترنت موجودا آنذاك — سمح لهذه الجريمة بالوقوع بدلا من تحويلها إلى متحف كما كان ينبغى لفنانة فى قامة أم كلثوم. وكثير من مكتبات مفكرينا تم شحنها لبلاد النفط بدلا من تحويلها لمكتبات عامة ومتاحف تخلد ذكرى أصحابها وتعرف الأجيال الجديدة بقيمة صاحبها وتراثه.

ومؤخرا يعانى بيت سيد درويش من الرطوبة والتآكل حسب الصور التى التقطها المخرج والكاتب المثقف محمد حسان صاحب موقع ومنتدى "أنا المصرى" للتراث، وهذا ينقلنا إلى قضية أخرى تمس الثقافة... هل الثقافة محض كتب وأوراق فحسب؟ ماذا إذن عن تراثنا السينمائى الذى تم اختطافه ببضعة

دولارات لصالح الوليد بن طلال؟ أو لايعد هذا سطوا على تراثنا السينمائى والفنى؟ وماذا عن الإهمال فى التسجيلات النادرة لكبار مطربينا ومنشدينا؟

هاهنا يبرز دور الانترنت فى الحفاظ على هذا التراث واسترداده قدر الإمكان، فنرى الروابط تنتشر عبر المواقع لتحميل كنوزنا المصرية من أعمال الرواد وكلها جهود شخصية لمثقفين آمنوا بدور الفن، مثل منتدى "زرياب" ومنتدى "أنا المصرى" وكذلك منتدى "سماعى" و"سوارى" وغيرها من المنتديات التى عنيت بحفظ تراث مصر الفنى فتجد فيها أعمال مطربينا وملحنينا العظماء بل والعوالم فى بعض الأحيان، كما تحفل بصفحات الترانيم القبطية النادرة بل واليهودية، وتجدها تتصدى بصفحات منشدينا ومقرئينا ضد هجمة المقرئين الخليجيين رتيبى الصوت والأداء، ومن أشهر وأهم الصفحات المعنية بحفظ هذا التراث وإنقاذه صفحة الدكتور راضى حامد على موقع سوارى والفيسبوك وغيرهما من المواقع، وكذلك أحمد الديب وعصمت النمر.

ولم يقتصر دور الانترنت على حفظ ونشر الأغانى والأفلام المغتالة، بل امتد لترميم الكثير من الأفلام التى تم العبث بها وفقا لأهواء الرقيب، فترى على اليوتيوب على سبيل المثال المشهد المحذوف من فيلم البريئ وأغنية النهاية لسيد حجاب.

وإذاً لم يصبح الانترنت كما حاول البعض تصويره مجرد ملهاة وقنوات "سكس"، بل أصبح وسيلة حياة وثقافة ومقاومة لمن يعى.

جريدة القاهرة

١١ أكتوبر ٢٠١١

كان عنوان المقالة "الإنترنت لمن يعى"، أما العنوان المنشور فهو من وضع الأستاذ مؤمن المحمدى، والذى كان مشرفا على الصفحة آنذاك.

عن تعبير "قتل بحثا" الذى قتله الكتاب استخداما

هذا الكليشيه الشهير ""قتل بحثا"" كثيرا ما يتصدر الموضوعات المطروحة على الساحة، سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو أدبية الخ.. وقد يأتى فى الخاتمة أو فى الوسط، المهم أنه يأتى ولهذا دلالته بل دلالاته.

أولى هذه الدلالات أن الكاتب فى بعض الأحيان يلجأ له كنوع من الاعتذار عن إفلاسه والاضطرار للكلام فى موضوع قتل بحثا وفى تلك الحالة غالبا ما يكون الكليشيه المذكور مفتتحا للكلام. وقد يلجأ الكاتب لهذه العبارة للإيحاء بأن لديه الجديد رغم أن الموضوع ""قتل بحثا"" وبأنه آت بما لم تستطعه الأوائل.

وقد يلجأ لها الكاتب فى بعض الأحيان ـــ أى العبارة ـــ للالتفاف حول موضوع لايريد الخوض فيه إما لعدم الإحاطة الكاملة به من قبل الكاتب أو اجتنابا لمحاذير ما سواء دينيه أو سياسية، وهاهنا تظهر سطوة الرقيب الوثن الماثل فى الأذهان فيحتال الكاتب بهذه العبارة معتمدا على فطنة القارئ فى استدعاء كافة خبراته حول الموضوع القتيل.

ومن الدلالات شديدة المرارة لهذه العبارة ما توحى به من اليأس فى بعض الأحيان فتصبح بديلا عن الإشارة لأن الكلام لم يعد مجديا حيث لا فائدة ترتجى بعد أن قتل الموضوع بحثا؛ والأمر منها الاتهام المضمر للمتلقى بألا جدوى من الكلام أو الحوار لأنه للآن لم يفهم ولم يع، إن فهم فهو سريع النسيان ولا يتعلم من التاريخ وأنه دائم التكرار لنفس الأخطاء، أو بعبارة أخرى "علم فى المتبلم يصبح ناسى"، فأى جدوى إذاً من طرح موضوع قتل بحثا!؟

وقد يلجأ الكاتب لهذا الكليشيه اختصارا للوقت والمساحة، ولو دققت النظر ستجده يتكرر أكثر ما يكون لدى كتاب الأعمدة اليومية وفى المقالات المختصرة لا تلك المقالات المطولة التى لا يفيد كاتبها الاختصار وهو الملزم بحشو المساحة وإن اضطر لتفسير الماء بالماء! وهى مأساة يعانى منها المتعاملون مع الصحف والمطبوعات الدورية بدءا من الكاتب والمحرر وانتهاء بالقارئ الذى يلهث بين السطور بحثا عن الجديد فيجد أو لا يجد، ولكن قبل أن تأخذك الشفقة بالقارئ ـ أو بنفسك ـ اعلم أنه كثيرا ما يكتسب مناعة ضد هذه الحيل التى يلجأ لها الكتاب وأنه صار مدربا على التعامل معها. فمنهم من يتصفح الجريدة من آخرها ومنهم من يقرأ المقال من منتصفه قبل أن يقرر هل يتم قراءته أم لا، ومنهم من يعرف متى يطوى الجريدة أو يفرش بها مائدته بمجرد التصفح الخاطف لها.

وهكذا نرى اتفاقا خفيا بين الجريدة والقائمين عليها وبين المتلقى وهو القارئ، فقد يقرأها ، كلها أو بعضها أو تكون له فيها مآرب أخرى تعوض ما يدفعه فيها ولا تذهب جنيهاته هباء.

أما السمة الرئيسية للمواضيع المقتولة، فهو عدم وجود حل جذرى وحاسم لها، إما لاستحالته أو انعدامه من الأصل، فتصبح مثل القضية المقيدة ضد مجهول، تثير التحدى من حين لآخر، ثم يغلق ملفها مجددا لعدم ظهور جديد يفيد القضية. وليبق ملفها جاهزا للفتح كلما استدعت الحاجة، ولنا فى ملفات المرأة وحقوق الإنسان والفتنة الطائفية ـــ أو بنبرة مخففة الاحتقان الطائفى ـــ وغيرها الكثير مثلا وعبرة فى تلك الشئون التى قتلت بحثا، فهى تفتح وتغلق وفقا للإرادة السياسية التى غالبا ما تحرص على التلاعب فى أحراز القضية، كى يبقى الملف معلقا لا هو مفتوح ولا هو بالمغلق، ولكنه دوما تحت الطلب.

هاهنا يظهر دور حملة المباخر من المسبحين بحمد الأنظمة والمستفيدين من بقائها، فيتم إعادة طرح القضايا وبعثها من قبورها وهى فى الأغلب ذات طابع دينى، والحشد لها وكأنها قضية الساعة وغالبا ما يكون الحل المطروح مستفزا ومثيرا للجدل، وهو المطلوب. وقد لا يكون المطروح شأنا دينيا فيكون حينئذ شأنا تاريخيا ذا صبغة سياسية لا يمكن تغييره، ويتم عندئذ توجيه الناس لتقويم هذا الشأن والانقسام حوله بدلا من تقويم

الوضع الراهن بمعطياته والنظر إلى الخطوات التالية، السادات وعبد الناصر وخطاياهما ودورهما التاريخى هما المثالان الأبرز فى تلك الأحجية التى لا حل لها فى الملاهى السياسية، ويبقى الحجاب وعمل المرأة هما الأبرز فى الملاهى الدينية والتى قد تتفرع وتتفاقم حتى تصل إلى رضاع الكبير وتحليل أكل لحوم الجن وغيرها من فتاوى الصلاة حاملا قربة فساء. وليس بعيدا ما حدث فى شم النسيم والذى يحدث كل عام من إثارة الجدل حول الاحتفاء به وتحريمه والعيب كل العيب على من يترك زوجته الفاضلة "المنتقبة" تشم الهواء! وما أثير حول رفع الهلال مع الصليب واعتباره ممالأة "للنصارى" وتحريمه، ولو علم هؤلاء دينهم حق معرفته لأدركوا ألا رموز فى الإسلام، وأن الهلال ليس رمزا ولا قداسة له لدى المسلم. وبالمثل تلك القضية التى يتم إثارتها قبيل كل عيد للمسيحين والاحتشاد لتحريم وتكفير تبادل التهانى، متناسين أن طعامهم حل لنا وطعامنا حل لهم، ومتناسين أن الإسلام أباح للمسلم الزواج من كتابية، فهل المطلوب منه أن يسب لها الدين هى وحماته ليلة العيد جزاء وفاقا لزواجها به؟ ومن عجب العجاب ألا تسمع لهؤلاء صوتا حين تهنئ الدولة الجارة الصهيونية اللدودة بأعيادها مثل عيد رأس السنة العبرية، أحلال للصهاينة حرام على الإخوة الأقباط من مسيحيي مصر!؟

وبالعودة لصدر المقال حول المواضيع التى قتلت بحثا، أجدنى مضطرة للاكتفاء ببعض الفلاشات السريعة فى موضوع أحداث ماسبيرو والتى شكلت مناخا مناسبا لها، منها تصريحات صفوت حجازى وطعنه لأعراض الثوار واهامه لهم بارتياد شقة فى العجوزة لأغراض الفسق والمجون قبيل وقفة الأقباط الاحتجاجية، مما يستدعى الفيديو الشهير لذلك الذى يقول: "يعنى ايه ليبرالية؟ يعنى امك ما تلبسش حجاب"، وبالتالى فكل مدافع عن حقوق الأقباط هو ليبرالى زنديق أمه سافرة، وجل هدفه أن ينشر الفكر الليبرالى للتمتع بالخمر والنساء بل والمثلية الجنسية وزواج المسلمة بالمسيحى؛ ولمحة أخرى حول رد خالد منتصر المتهم بعداوته لكل ما هو مسلم ولكل ما هو فى صالح الإسلام ونصرته، فلو تصفحت الردود على الموقع الأليكترونى لوجدت إرهابا فكريا واستعدادا لاعتناق كل المحرمات من خوض فى الأعراض واغتياب الثوار لا لشيء إلا استبعاد ما قد يحمله رد خالد منتصر وغيره من الكتاب من وجاهة أو لا يحمله، فالمطلوب هو الاستبعاد لكى يتم الانفراد بالعقول، لذا لم يكن عجيبا أو مستغربا أن يندفع المغيبون نحو مظاهرة الأقباط لنصرة الجيش والإسلام وارتكاب كل ما نهى عنه الرسول عليه الصلاة والسلام من عدوان على أهل الذمة، فلا هم جعلوا منهم أهل ذمة فمنحوهم الأمان الكافى، ولا جعلوا منهم مواطنين ذوى

حقوق واجبة النفاذ. أما إعلامنا المصرى وفساده ودوره المحرض لصالح الحكم العسكرى والفلول... فقد "قتل بحثا".

جريدة القاهرة

٢٥ أكتوبر ٢٠١١

العنوان الأصلى "قتل بحثا"

الثقافة بطريقة ٤ـ ٢ ـ ٤

فى إحدى الجمع التى تكاثرت فى الثورة، وأظنها جمعة الثامن من يوليو، خرجت الفنانة المعروفة من المسيرة ــ وفنانة فى عرف بلادنا أى ممثلة على الأرجح ــ وتوجهت بلهفة نحــو الأســتاذ شعبان يوسف قائلة له: "انت فزيييع فزيييـــع... البرنــامج بتاعك يجنن" وعادت مهرولة لتلحق بالمسيرة التى تحمل علــم مصر وسط شعور بالحبور استخفنا جميعا.

ولعل من أبهج اللحظات التى مررت بها فى ميدان التحريــر، هى تلك المرات التى كان يهرول فيها الشباب والكهول ليلتفوا حول الأدباء والمفكرين، وخاصة الأستاذ شعبان يوسف الــذى ضارعت نجوميته نجومية الفنانين والرياضيين لدى المواطن العادى بفضل الله أولا، وبجهد الأستاذ شعبان ودأبه وتبتلـــه فى خدمــة الحياة الثقافية، وأخيرا بفضل البرنامج الناجح والــذى نفتقــده كثيرا منذ توقفه بقرار من مقدمه الكاتب "بلال فضل" دعمـــا لدينا عبد الرحمن؛ ألا وهو برنامج "عصير الكتب"، وخاصـــة فقرة "سور الأزبكية".

وبرنامج "عصير الكتب" ليس بدعة مـــن البـــدع الـــتى ابتدعتها قناة "دريم" الفضائية ولا الأستاذ بلال، فبالمثل نجـــد

"كتاب فى حياتى"، و"خير جليس"، و"كتاب قرأته وكتاب ألفته"، وغيرها من البرامج التى كانت تحفل بها الفضائيات وعلى رأسها قناة الجزيرة، بيد أن معظم هذه البرامج كانت سمتها الرئيسية هى حشو الوقت، ثم كفت الجزيرة الوثائقية محبى المعرفة همهم إلى حد ما، لكن كل هذه البرامج لم تحظ بما حظى به برنامج "عصير الكتب" من جماهيرية، والذى تلقفه الشباب بالمبادرة بعمل صفحات له على الفيسبوك واليوتيوب دونما انتظار لإدارة القناة أو لمعدى البرنامج، مما يعكس لهفة حقيقية لدى الشباب للمعرفة وللتوجيه دونما تعاظم أو تعال.

أما الفضائيات المصرية الحكومية فلا تكاد تخلو من برنامج يتناول الكتب والكتاب وكلها فى أوقات ميتة بما فيها قناة النيل الثقافية، مثل برنامج أجمل ما قرأت والذى تحول فيما بعد لشارع الكلام، ولا تزيد الفقرة عن ربع الساعة أو نصفها على أكثر تقدير منها على سبيل المثال لا الحصر برنامج صباح الخير يا مصر، الذى تندر عليه البعض بالقول: "شوفتنى فى صباح الخير يا مصر؟"، كناية عن ضعف المشاهدة له وإذن "فلنفشر ونعمر براحتنا".

ولعل أحد أسباب نجاح برنامج "عصير الكتب" وإقبال الشباب على متابعته والاحتفاء به لا يرجع لنجومية بلال فضل وحدها، فهناك من هم من أمثالى ممن كانوا يتابعون البرنامج

حرصا على فقرة سور الأزبكية التى كان يفيض علينا بها الأستاذ شعبان يوسف من غزير علمه، أقول لعل من أسباب نجاح البرنامج أنه كان يرضى القارئ ويعينه على نصب المتابعة فى عصر انفجار المعلومات، وحيرته بين متابعة الجديد وملاحقته وبين الإلمام بالقديم عبر سور الأزبكية وذاكرة الأستاذ شعبان حفظها الله له، وقد يكون لانشغال الشباب بالكتابة والاجتراء عليها من خلال دور النشر الخاصة ـــ حتى أنك قد تجد كتابا لشاب لم يتجاوز العشرين من عمره ومنهم من لم يتعد مرحلة الفتوة ولم يستخرج بطاقة شخصية بعد ـــ أقول لعل هذا جعلهم يهتمون بالبرنامج من باب الشعور بالذات كأدباء أو مشاريع أدباء ذخيرتهم الأولى هى المعرفة فى زمن سيطرت فيه الشاشات على باقى أدوات المعرفة، فجاء البرنامج ملبيا لحاجتهم الرئيسية ككتاب على الطريق هم وأصدقائهم الذين يتابعونهم زهوا بهم وفهما لما يطرحون. وهو ما التفتت له قناة النيل الثقافية فخصصت برنامجها ثقافية كافيه لاستضافة شباب المبدعين وجعلته وقفا عليهم، فكان طابع البرنامج شبابيا محضا وإن حمل طابعا ثقافيا، فمقدمو البرنامج وضيوفه شباب "روش" يرتدى الجينز ويستعمل الجيل فيحاور و"يحوّر".

وقبل هذا وذاك وعودة للقول إن هذه البرامج ليست بدعة، لا ننسى البرنامج الإذاعى الشهير "زيارة لمكتبة فلان" القديم قدم الدهر، أما بالنسبة لجيلى فقد تفتح وعينا على برنامج

للأطفال كان يقدمه المذيع الراحل عبد الرحمن علــى، وكـــان بعنوان "مكتبة الأصدقاء"، حيث يعرض عملا تمثيليا مــوجزا لقصة شهيرة ثم يناقش الأطفال فيها، وكانت تعرض بالفــصحى ويشترط على الأطفال أن يتحدثوا بالفصحى ويصوب لهم ما قد يخطئون فيه؛ وفى نفس تلك الفترة كـــان التليفزيــون يعــرض تمثيليات بعنوان من "الأدب العالمى"، وأذكر أننا كنا نتــربص بالمذيعين فى تلك الفترة لاصطياد النطق الصحيح لكلمة غمضت علينا، بعكس ما وصل إليه الحال الآن من عينة "ضغوطات" و"دان" التى تحفل بها القنوات الفضائية هـــى وغيرهـــا مـــن العبارات والتعبيرات الغريبة وغير المفهومة.

ولم يقتصر الأمر فى شأن الكتاب الذين يقدمون البرامج ذات الأغراض الثقافية على الأستاذ بلال والأستاذ شعبان، إذ لا أحد ينسى برنامج محطات للكاتب الكبير أ. جمال الغيطانى، بيـــد أن الفخ الذى تربص بالكتاب الذين انتقلوا لخانة المذيعين ومقـــدمى البرامج من أمثال الأساتذة ابراهيم عيسى ووائل الابراشـــى الخ الخ، هو البحث عن "الفرقعة" فى بعض الأحيـــان، والـــتفكير بصوت عال وعلى الهواء أمام مئات المشاهدين، مما يضعهم تحت المجهر ويحرجهم فى ظروف أخرى. أما المشكلة الرئيسية وأراهـــا مشكلة لا ميزة ــ فهى تحول هؤلاء الكتاب والمذيعين إلى نجـــوم بكل تبعات النجومية وأعبائها، فكم من مرة أثيرت مسألة مـــنى الشاذلى وأشيع أنها سترحل عن دريم؟ وتأتى الردود دائما ما بين مستبعد ومخمن لانتظارها لعروض أفضل ومتوقع لتلقف القنوات المنافسة لها، وصرنا نرى المذيعين يتنقلون بين الجزيرة والعربيـــة

وغيرها من الفضائيات بعد أن بلغ المذيع الفلانى أو المذيعة الفلانية حد النجومية، وعلى طريقة الأندية الرياضية تبدأ القنوات فى التنافس على استقطاب مقدمى البرامج بعد أن أصبحوا هدافين حرصا منها على نسبة المشاهدة لا أكثر. وهو عين ما راهنت عليه قناة "دريم" حين استغلت جماهيرية بلال فضل وأفردت لعصير الكتب ساعة كاملة فى وقت حيوى، فكنت ترى من يغلق المحمول ويرتب مواعيده حسب البرنامج ولا يرد على تليفونات أو يستقبل ضيوفا فى السابعة والنصف من مساء يوم الأحد، وقد يدخل فى حسبة برما لو اضطر لقضاء مشوار فيفرغ نفسه للإعادة، ولإعادة الإعادة التى تأتى بعد منتصف الليل.

بديهى إذن أن تتعامل القناة مع البرنامج ومقدمه معاملة النادى مع النجم والعكس صحيح، ومع احترامى الشديد للأستاذ بلال فقد أنصف زميلته وقسا على جمهور البرنامج بهذا الانقطاع، وها هى دينا قد وجدت من يتلقفها من القنوات المنافسة، وسوف يجد يسرى فودة من يتلقفه هو الآخر بعد أزمته الشهيرة، ويبقى المشاهد المسكين مترددا بين الترددات المختلفة عله يعثر على نجمه المفضل فى هذه القناة أو غيرها.

أما قناة دريم فقد خسرت جوادا رابحا بتفريطها فى طاقم برنامج عصير الكتب، وكان الأحرى بها أن تحاول الإبقاء عليه كى لا تخسر قطاعا عريضا من المشاهدين، والأهم من ذلك ألا تخسر وجوها محترمة ذات حضور ثقافى متميز مثل الأستاذ شعبان

يوسف، وأن تصطبغ القناة برسالة ثقافية ذات جوهر تجارى لـو أنهم يعقلون، فالتاجر سمعة وبهذا الموقف نجـدها قـد أضـرت بسمعتها كقناة، او على أقل تقدير خسرت فئـة جـادة مـن المشاهدين وبقى لها المنافسة مع ميلودى وأشباهها.

نسأل الله أن يعجل لنا بقناة تبل ريقنا ببرنامج بديل لعـصير الكتب يعوضنا عما افتقدناه منذ أن توقف، وألا يصبح ملاذنـا الأخير البحث فى اليوتيوب لاجترار الحلقات المسجلة.

جريدة القاهرة

١ نوفمبر ٢٠١١

من عنوان المقال يتضح لك عزيزى القارئ جهلى الشديد بالكرة، فعذرا.

ولكنه علم كالبكا

تقلبت لشهور فى وظائف مؤقتة ــ والتى لم تكن مؤقتة فى كل مرة أشرع فيها فى وظيفة ماــ وكلها فيما يشبه البحث العلمى، فما بين القطاع الطبى للهيئة العامة للبتــرول ومــرورا بمركــز الأمراض المتوطنة بالوراق ــ مشروع الملاريا وانتــهاء بــالمركز القومى للبحوث فى معمل السموم الفطرية، فلم أر علمــا ولم أر علماء إلا قليلا، وعلمت أن العلم فى بلادى فى مأزق.

جدير بالذكر أن هذه الذكريات أو الشهادات قد مر عليها ربع قرن أو أشف قليلا، وأحسبها أى الأوضاع؛ لم تتغير لا قبل الثورة ولا بعدها. وسأبدأ معك بطرح تلك الــذكريات أولا ثم نحللها معا لنضع أيدينا على أزمة العلم فى بلادنا، فاصبر معــى على تلك "الحواديت" فالصبر مفتاح العلم.

فى القطاع الطبى للهيئة العامة للبترول

عقب حصولى على بكالوريوس العلوم قسم الكيمياء فتشت وفتشت كثيرا على وظيفة فما وجدت إلا سكرتيرة حسنة المظهر أو خادمة مقيمة، صفحات وصفحات من الإعلانات المبوبة التى تزخر بتلك "الوظائف"، فلم أجد بدا من اللجوء للواسطة التى ألقت بى فى معمل بالقطاع الطبى للهيئة العامة للبترول كى أقضى

يومى الوظيفى بين ثلاثة لا رابع لهم، عينات البول وعينات البراز ونسميه من باب التدليل "ستوول"، ومساعدى فى المعمل ولنقف قليلا عند مساعدى هذا.

كان عاطف هذا من حملة الشهادات المتوسطة وهو فنى معمل متخصص، والأنكى من ذلك أنه كان مكلفا بتدريبى وتعريفى بطبيعة العمل، ولكن ولأنه شهادة متوسطة ولأننى من حملة البكالوريوس ـ رغم تخصصى المفارق لطبيعة العمل وتخصصه المغرق فيه ـ فقد جعلته هذه الأوضاع مساعدا لى رغم أنه يفوقنى خبرة وأضفت على لقب دكتورة بدون مناسبة سوى التمييز الطبقى العلمى؛ فهل انتهت الأمور عند هذا الحد؟ بديهى أن تستنتج أنها لم تنته ولكن إلام انتهت؟

حدث ذات يوم أن "عاطف" وجد بويضة بلهارسيا فى إحدى العينات وفرجنى عليها بالميكروسكوب فعرفت شكلها على الطبيعة لأول مرة بعد طول مشاهدة لإعلانات الترعة الشهيرة، ورأيتها رأى العين، عفوا رأى الميكروسكوب لأكتب التقرير بعدها أن بالعينة الفلانية بويضة بلهارسيا، دونما تحديد لنوعها أهى هيماتوبيم أو مانسونى فلم أكن قد عرفت الفرق بعد؛ إلى هنا ولم تنته الحكاية... فما إن علم المدير حتى استدعانى على عجل ليهنئنى بهذا الكشف العظيم، وعبثا أقول له إن عاطف هو الذى اكتشفها، فقد وطن نفسه على استثمارى فى

مكان جدير بى ليلقى بى إلى أخيه فى الوراق والذى كان مديرا لمركز أبحاث الأمراض المتوطنة بالوراق الشهير بالمشروع الأمريكى مع إغراءات ببعثة مرتقبة لبلد الأحلام... أمريكا.

وهاهنا انتهت صلتى بالقطاع وبقى عاطف بانتظار بكالوريوس جديد كى يصبح مساعدا له.

فى المركز الطبى للأمراض المتوطنة للوراق

لن أحدثك عن معاناتى مع وسائل المواصلات الثلاث ولا عن استيقاظى فى الخامسة صباحا للحاق بأول مترو فى السادسة صباحا ولا عن محاولة اختطافى ونجاتى على يد صبى فى العاشرة من عمره، فكل هذه الأشكال من المعاناة شخصية ولا شأن لها بكونى من سكان محافظة غير المحافظة التى عملت بها فى تلك الآونة، ولكن مهلا كيف لى أن أقول إنها شخصية!! أو ليست مشكلة عامة وما حالتى إلا نموذج لتلك المشكلة؟ دعك من هذا، ألم أذكر آنفا أنه مشروع أمريكى من تلك المشاريع التى تقدمها هيئة المعونات الأمريكية؟ أين كانت تلك الأموال من تيسير وسيلة نقل للعاملين، أم لأن عددنا لم يتجاوز العشرين جعلهم يهتمون بأجهزة التكييف والكومبيوتر "وطز" فى الموظفين!؟

عموما هذه "الطز" أتت ثمارها، ولكى أوضح مقصدى دعنى أشرح لك فى عجالة طبيعة عملنا:

كان مطلوبا منا أن نقوم بعد البويضات الموجودة فى عينات البول والبراز التى تأتينا من القرى المدرجة فى المشروع لنرصد بعد ذلك فاعلية العلاج ومدى التحسن فى كل حالة مقيدة باسمها وتاريخ انضوائها تحت لواء البحث العلمى أى شغلنا. دعك من البراز وخلينا فى البول...

لكى يتم تحضير العينة كنا نرجها لكى تتوزع البويضات بشكل متجانس ثم نسحب منها عشرة ملليلتر من وسط العينة ونقوم بترشيحها وتلوينها ثم نعد البويضات، هكذا دربنى الدكتور رضا سرا لمدة أسبوعين لكى أصبح رئيسة المعمل وتحت يدى ستة فنيين، ثم تسلمت وظيفتى والمعمل وموظفينى الذين يفوقوننى عمرا وخبرة، فإليك ما رأيت.

بادئ ذى بدء وجدت أكواب الشاى والساندوتشات جنبا إلى جنب فى المعمل مع العينات اياها، تلك العينات التى لا تكتفى بكونها مقززة لطبيعتها ولكن لما تحمله من أمراض أتت من أبأس قرى مصر، فهل هؤلاء الفنيون يعون معنى البحث العلمى بل معنى الباراسايتولوجى؟ أم أنهم مجرد ضحايا مكاتب التنسيق ووزارة القوى العاملة!!

هذا فيما يتعلق بصحتهم والمخاطر الشخصية التى كانوا يتعرضون لها، أما فيما يختص بالعمل نفسه، فقد فوجئت بهم يرشحون العينات كاملة، والتى تتفاوت لدى الشخص الواحد

من مرة للثانية، فقد يأكل ''مش'' أو يشرب عصير قصب، فلا حجم العينة ثابت ولا القياس عليها يمت للبحث العلمى بصلة.

وبعيدا عن البحث العلمى أين انسانية هؤلاء؟ كنت تـــراهم هم الستة، محشورين فى استراحتهم التى لا تزيد عـــن المتـــرين تزاحمهم العينات القديمة المتراصة فلا تترك لهم ســـوى منـــضدة صغيرة وكرسى وحيد يتناوبون الجلوس عليه فى فترة الراحة، أما الاستراحة المخصصة لكبار الموظفين أمثالى ولم نزد عـــن ثلاثـــة وقتها فكانت غرفة واسعة بثلاجة وطاولة كبيرة والعديـــد مـــن الكراسى التى يعلوها التراب، ولك أن تتخيل نضالى مع الدكتور مصطفى رئيس المركز لكى يسمح لهـــؤلاء الـــستة باســـتخدام الاستراحة الكبيرة معنا ورفضى التام لاقتراحه بأن يتم استخدام الاستراحة الكبيرة بالتناوب لما رأيته من تمييز يزيد الإحن بينـنـــا وبينهم فضلا عن اهدار وقت العمل فى حصتى استراحة بلا داع، ولك أن تتخيل أسباب طفشانى فيما بعد من تلك الوظيفة الكئيبة غير المجدية.

فى المركز القومى للبحوث

بعد طول اكتئاب مما عانيت منه فى الوراق لم أجد بدا مـــن الواسطة، فأرسلنى صديق والدى للدكتورة خيرية نجيب بالمركز القومى للبحوث لكى أوضع على قوة مشروع أمريكى فى معمل السموم الفطرية، مشروع الأفلاتوكسيتز، وكانـــت مهمـــتى أن

أساعد طلبة الماجيستر فى أبحاثهم العملية والنظرية، من الآخر مرمطون فى المعمل، فكنت أذهب إلى المكتبة لاستخراج المقالات من الدوريات العلمية وهى مهمة يسيرة وممتعة، أما المهمة السخيفة والتى كانت صلب عملى، فكانت تقطيع السمك المتعفن ــ رغم أنه كان من الأسواق المصرية ويأكله الناس ــ وضربه فى الخلاط مع مذيبات عضوية لتهيئته للباحث الذى سخرونى لمعاونته.

فكانت الأيام تمضى هانئة لا تدرى كيف، أو لنقل هانئة بشكل نسبى، ليرتفع صراخ الدكتورة خيرية: "مين اللى مسك التليفون بايديه مطرحها سمك؟"، ليقفوا جميعا كالتلاميذ المشاغبين وقد رسم كل منهم على وجهه البراءة.

ولم تحاول تلك الدكتورة أن تسأل نفسها لم يفعلون ذلك بها؟ لم تنظر إلى الخلاطات العطلانة وطابور الباحثين وهم بانتظار انتهاء الخلاط الوحيد الصالح للعمل من دورته فى يد أحدهم، بل لم تنظر إلى غياب القفازات وعدم توفرها لأى من هؤلاء، رغم سخاء المعونة الأمريكية ورغم المخاطر الصحية الجمة التى كنا نتعرض لها يوميا بالتعامل مع تلك السموم وجها لوجه، أعنى يدا لسمك!!

وأخيرا لم أتخذ قرارى بالرحيل عن المركز حاملة معى "المقبول" الذى قدرته لى كليتى فى البكالوريوس إلا بعد

التقائى بأحد زملائنا المتفوقين والذى كان يحضر للماجيستير فى المطعم المجاور للمركز حيث كان يعمل على ماكينة الشاورما!!

وبعد يا عزيزى القارئ، هل ترى فى بلادنا بعد كل ما حكيت منهجا علميا؟ هل ترى أناسا مؤهلين لتطوير البحث العلمى؟ فلو غضضنا الطرف عن الواسطة وعن سرقة المعونات الأمريكية فهل هذه العقول التى تتعامل بالبركة قادرة على أن تكون ذات منهج علمى؟ أم أنهم جميعا من عينة تلك الممرضة التى دخلت على مريض مرتدية القفاز الطبى ومعها قطنة مبللة بالكحول وفل الفل ولكنها ركنت الحقنة المفتوحة على الكرسى قبل أن تغز بها المريض!!

١ ديسمبر ٢٠١١

جريدة الواقع الاليكترونية

لا أثق فى نظام يبقى على الأمية فى بلاده أيا كانت منجزاته. التعليم أولا.

بطل لا تعنيه البطولة

كان يشكو لجده اضطهاد الزملاء له لولعه بالعلوم وتفوقه فيها فيتمثل اضطهادهم له فى السخرية من بدانته واتهامه بغرابة الأطوار، لذا فقد انعزل عنهم واتخذ له مهربا فى قوقعة بناها حول نفسه، ولكن الجد لم يرض عن لجوء حفيده لعدم المواجهة والاستسلام للعجز والاحتجاب عن الناس، فنصحه قائلا: "سوبرمان ليس بطلا، فهو مجرد مستخدم لقواه التى منحتها له الظروف، فأين البطولة فى ذلك وهو الرجل الخارق!؟".

المقطع السابق هو مشهد من فيلم أمريكى لا أذكره ولا أذكر من تفاصيله سوى نصيحة الجد لحفيده، ولا أنكر أنها أصابت فى نفسى هوى وأفرزت رؤية مغايرة لمعنى البطل والبطولة، ولنأخذ على سبيل المثال موقف الشحات حين تسلق تلك الطوابق المتعددة ليسقط علم اسرائيل ويرفع مكانه العلم المصرى وهتاف الجماهير له عقب ذلك: "انزل يا بطل، انزل يا بطل"، والمؤسف فى الأمر أن البعض لم ير فيما فعله سوى مهارة بهلوانية لاننكرها عليه، ولكن هل كان يتحدى قانون الجاذبية فحسب حين قام بفعلته؟ ألم يكن عرضة للانزلاق أو التفاف العلم حول

عنقه بفعل الريح فى الأدوار العليا؟ أو أن يتهاوى به جهاز من أجهزة التكييف التى كان يستخدمها كمنطات بين الطوابق؟

فى ظنى أن بطولة الشحات هى بطولة مؤقتة، عفوية وليدة اللحظة، وأهميتها تكمن فى تأثيرها النفسى على الجماهير، وكلنا نذكر كيف ارتفعت الروح المعنوية بعدها، ولكن...

سرعان ما كان لفعلته تداعياهًا على أكثر من صعيد، فهناك من وقع تحت تأثير سحر اللحظة ورفض الخروج من نشوهًا أو لنقل إنه عجز عن الإفاقة منها، وعلى جانب آخر استشعر أعداء الثورة الخطر فى هذا الشحذ المعنوى فعمد إلى تشويه صورته والتهوين من فعلته، ووصل الأمر لمحاولة سرقة هذه البطولة أو الأضواء التى سلطت عليه ونسبة الفعل إلى نفسه، لينشغل الناس فى النهاية بالانقسام حول البطل الحقيقى أهو الشحات أم شخص آخر، أهو حقيقى أم مدع، وحول هذا الفعل أهو بطولة أم مجرد أكروبات لا تختلف عن تلك التى يقوم بها أى "حرامى مواسير" أو هجام، او حتى فرد صاعقة مدرب!!

ننشغل بذوى الأفعال الخارقة اللحظية ونغفل عن أبطال يمشون بيننا، نراهم ولا نرقبهم لنرى قوهم الحقيقية اليومية.

حين استشهد خالد سعيد لم تعنه البطولة، بطولته كانت وليدة الصدفة، وأثرها هو البذرة الحقيقية للثورة، لم يكن وائل غنيم

ومساعدوه فى صفحة ''كلنا خالد سعيد'' هم الأبطال، بل كل من اعتنق الفكرة ووجد كلمة ''كفاية'' وقد أصبحت فـرض عين، فارتدى السواد ونزل فى صمت ليقف على الكـورنيش.. أى كورنيش دون أن ينظر حوله متسائلا هل من أحد يرانى؟ هل معى أحد؟

من هؤلاء الذين نزلوا فى صمت ثم علا صوتهم حتى أطـاح بالطاغية الرابض لعقود على حكم البلاد؟

الذين نزلوا هم أبناء الأبطال المتهمين بالصمت لثلاثين عامـا على طغيان مبارك، كل أب اقتطع من قوته ليوفر لابنـه جهـاز كومبيوتر ولجأ لإدخال وصلة فى بيته تعينه على غسيل وعيه من الإعلام الزائف والانفتاح على العالم، هو بطل.

كل أب وكل أم عانوا من فساد التعليم وتزييـف الـوعى فاجتهدوا فى رفع ما تيسر من تلك الأدران عن عقول أبنـائهم كى لا يحبطوا وتغتال أحلامهم مثلهم، بم نسميهم غـير أنهـم أبطال؟!

ذلك الأب العامل وتلك الأم العاملـة، مـن رأى الفسـاد واكتفى بأضعف الإيمان فلم يشارك فيه، هؤلاء هم من أنجبوا هذا الشباب الثائر. منهم من حاول منع ابنه من النزول للمـشاركة فى الثورة لينزل هو، ومنهم من اصطحب أسرته بأكملها.

البطولة ليست وليدة يوم أو ساعة، بل هى فعل يومى متصل، الموظف الشريف الذى يدبر حاله بمرتب لا يكفل لــه العــيش الحاف فيبحث عن عمل إضافى كى لا يمد يده بالسؤال أو يمدها للحرام ويجاهد نفسه هو بطل حقيقى. حين تــراه محــشورا فى أوتوبيس نقل عام ويشق طريقه بين الركاب ليقفز أمام محل عمله بم تسميه؟

الأم التى تذبل تحت وطأة الهموم بين إدارة شــئون أســرتها وعملها إن كانت عاملة، أو تصبر على غياب الزوج طيلة النهار إذا كانت غير عاملة، وترعى فى غيابه الأبناء متحملة الأمانة بجلد وصبر هى بطلة ولا ريب. ليس مطلوبا منها أن تكون خنــساء أخرى تقدم أبناءها للاستشهاد فى سبيل الوطن لكــى تــستحق لقب الأم المثالية أو أن تسبغ عليها سمات البطولة، لو انها اكتفت بحمايتهم من الانحراف فى زمن المغريات، لكفاها ذلك.

الواقفون فى طوابير العيش وأنابيب الغاز، الــسائرون فــوق قوالب الطوب فى الليالى الممطرة، الواقفون تحت حر الــشمس بانتظار الأوتوبيس، المتحملون لــسخافات وبلطجــة ســائقى الميكروباص بأغانيهم أومواعظهم الدائرة عبر الكاسيت حــول عذاب القبر والثعبان الأقرع والسحر والعين. المعتدلون الحافظون لصحيح دينهم من مسلمين ومسيحيين والمتمسكون بعصريتهم فى وجه رياح الفتنة العاتية وفى وجه زارعى البغضاء، كل هؤلاء لا تعنيهم البطولة وبريقها لكن صبرهم من صبر الأنبياء.

وتحضرنى فى هذا الصدد ذكرى مهرجان أقيم لتكريم الأم الفلسطينية لكونها نموذجا للصمود والبطولة، لا لأنها تلد الشهيد تلو الشهيد ولا المناضل والأسير فحسب، ولكن لمجابهتها كذلك صنوف النكال من المحتل عبر العقود الستة الماضية وإرهابه وحصاره؛ ولكونها الأم الفلسطينية الصامدة فكان لابد للأبناء الذين جاء فطامهم على حد الصمود من نصيب فى هذه البطولة اليومية، فنذكر حرص التلاميذ الفلسطينين على عدم الانقطاع عن الدراسة رغم الحصار ورغم القصف، وكيف أنهم كانوا يحصلون ما يفوقهم فى خيام بديلة عن مدارسهم التى يحاول العدو الصهيونى حرمانهم منها لكى يبقى على التفوق النوعى الذى يعوض به الفارق العددى الآخذ فى الازدياد.

بيد أن الصمود الفلسطينى وما يستتبعه من بطولة هو وليد التحدى الواضح المباشر، بخلاف بطولات من نوع آخر وليدة الصمود إزاء الإغراء والغواية والافتتان بالنفس فى بعض الأحيان، وهو ما يفسر انزلاق بعض المناضلين ذوى المواقف المشهودة فى نبلها وشرف مقصدها لغواية المجد المبنى على تلك المواقف الغابرة، وشيئا فشيئا يتحول المناضل من هؤلاء إلى نصف إله لا يأتيه الباطل من بين يديه فيستطرد فى التنظير والمزايدة ليترلق أتباعه بدورهم نحو الغوغائية والحماقة... رالانقسام فى أغلب الأحوال، حتى يندثر الهدف الأصلى بشكل كامل، إلا من رحم ربى، ومن رحم ربى بم تسميه؟

وبالمثل نجد حملة الأمانة، أمانة الكلمة والرأى؛ فمنهم من يفتنه ما لديه من العلم فيقع فى فخ الغرور وتغويه الألقاب ليصبح طاغية بعدها ونقده زندقة تستأهل العقاب، أما من يذكر نفسه بأن ما لديه من العلم قليل قليل، ولا يكف عن السعى للمزيد من العلم دون تعال عمن هم دونه مقاما أو علما، ذلك الحريص على تذكرة نفسه بفضل الآخرين وألا اكتمال له إلا بهم... ذلك الحامل لروح العالم المتواضع الحق لهو فى نضال مستمر مع نفسه ومجالد لها وبالتالى فهو فى حالة فعل البطولة التى لا تنقطع، والتى لا يشترط لها أن تتمثل فى موقف عصيب يمر حاملا معه تبعاته أيما كانت.

وهى ليست بطولة تقتصر على الأعمى حين يقهر الظلام ولا بطولة متحدى الإعاقة، كما أنها ليست بطولة المبتلى بعيب خلقى يواجه به المجتمع كل يوم رغم تكرار الفعل، بطولة هؤلاء الحقة تتمثل فى إرادتهم فى قهر تلك الابتلاءات وتخطيها.

قياسا على كل ما سبق نوجز معنى البطولة فى بطولة فعل فريد أو حدث غير عادى يحتاج إلى مهارات خاصة وشجاعة الفعل ــ والقول نوع من أنواع الفعل ــ وتحمل تبعاته وعواقبه، وأخرى يومية معاشة تتلخص فى تفاصيل الحياة اليومية، كل يوم تنهض فيه من فراشك لتفتح باب يومك المجهول وتسعى حاملا معك كل ضعفك وعيوبك وهواجسك، وفى بعض الأحيان

تشوهاتك النفسية أو البدنية هو فعل بطولى متكرر، هناك بطولة تصرخ فيك لتهب من سباتك، وأخرى همس فى أذنك بـــدأب وصبر لتثبت على طريقك نحو تحقيق أحلامك، وكلتاهما لا تحتاج من المرء أن يكون ذا قوة خارقة، أو قناع يخفى خلفه ملامحه كى لا يعرف الأعداء هويته فيصيدوه من نقطة ضعفه، البطل الحـــق لابد أن يحمل بين جنبيه ضعفا ما.. شرا ما يحاول تثبيطه فيقهره، البطل الحقيقى هو الإنسان، الإنسان العادى، إنسان كـــل يـــوم الذى يواجه الغيب وما يحمله من أشباح الخوف والجوع والمرض والفناء، والذى يواجه الحاضـــر المـــتخم بالأطمـــاع والنفـــاق والدسائس ومكر الماكرين، هو ذلك الذى لا يكف عن الحلـــم بغد أفضل والعمل على تحقيقه حتى لو اضطر للاصغاء لأكاذيب الساسة وترهات الإعلاميين فى زمن الفوضى الإعلامية.

هو من يستفت قلبه وإن أفتوه، فيثبت علـــى الـــسعى نحـــو الكمال.. ذلك هو بطل كل يوم.

٣١ ديسمبر ٢٠١١

جريدة الواقع الالكترونية

"زد" ودروس الثورة المصرية

كنت ألمح شعار الأوسكار على الأفيشات فى طريقى إلى المدرسة، ولحداثة سنى آنذاك اعتقدت أن هذا الشعار إنما يخص فيلم "زد" لكوستا جافراس، ولا أدرى لم أصابتنى لهفة قوية لمشاهدته حتى أصبح حلما لم يتحقق إلا منذ أيام قلائل بعد مرور ما يزيد عن الأربعين عاما من هذا الحلم.

لعل ما أثار فضولى هو عنوان الفيلم الذى جاء مكونا من حرف لاتينى وحيد وهو Z وينطق حسب الفيلم "زي" وهو مربط الفرس فى الفيلم الذى تم إنتاجه سنة ٦٩، وهو مبنى على حادثة حقيقية حصلت فى اليونان عن الرواية التى تحمل نفس العنوان والتى صدرت سنة ٦٦ للكاتب فاسيليس فاسيلوكوس والتى استوحاها من مقتل السياسى جريجوريس لامبراكيس سنة ٦٣.

حين تابعت الفيلم خيل إلى أننى أشاهد نسخة قديمة من ثورتنا المصرية ، وكأن النظام كان عاكفا على مذاكرة الفيلم وحفظ السيناريو بحذافيره بدءا من استخدام البلطجية وتواطؤ الشرطة وتسويف القضايا.

هو بحذافيره ما يحدث منذ بدء الثورة وحتى يومنا هذ، الفارق الوحيد يكمن فى وجود طرف ماسونى هو المنقذ فى اللعبة والذى تم تجاهله تماما فى التحقيقات بعد أن تعرض عضوان من البرلمـــان لإيذاء البلطجية مما أدى لوفاة الشخصية المحورية فى الفيلم وهـــو الدكتور المحاضر عقب محاضرة رفض البوليس تأمينـــها، وقـــام بتأمينها بشكل صورى، بل قام فى واقع الأمـــر بتـــأمين خطـــة الاغتيال للبروفيسور وإعداد التقرير بشكل مسبق للإفادة بأنـــه مات إثر حادث بسيارة يقودها سائق مخمور مما يـــذكرنا بخالـــد سعيد وتقرير اللفافة، وكذا العدوان على البرادعى وابو الفتوح وغيرهم.

أما ذلك الشخص الماسونى فقد قام بـــرغم ضـــآلة حجمـــه بمطاردة السيارة ركضا وتضارب مع البلطجى الذى أطل منـــها ليضرب البروفيسور بهراوة من النـــوع المـــستخدم فى جهـــاز الشرطة، ثم لم يظهر أى دور له فى القضية ولا فى الأحداث رغم كونه شاهدا لا يستهان به، وهو أمر يدعو للعجب فى فيلم بهذا الإحكام، ترى هل كانت مجرد مغازلة للماســونية أم هجومـــا عليها!!؟

وكما أشعلت الثورة المصرية صورة خالد سعيد الـــسكندرى أشعل صحفى من جريدة محلية يحمل كاميرا لا تفارقـــه تـــصور البلطجية وهم يضربون أتباع البروفيسور، بل ويضربون الفتيات ويتحرشون بهن!!

وكلما حاول وزير الداخلية والدفاع إغلاق الملف تتكشف الخيوط للمحقق المتابع للقضية ليكتشف مدى تورط النظام فى عملية الاغتيال ومحاولاته تلفيق بيانات تتعارض مع تقرير الطبيب الشرعى الذى أجبر على الصمت حين كان البروفيسور فى غرفة العمليات قبيل وفاته وبأمر من وزير الداخلية ومأمور البلدة، وحين يقترب من الحقيقة كاملة يتعرض المحقق للمساءلة من قبل النائب العام الذى يحاول إثنائه عن الاستمرار فى القضية كى لا تهتز سمعة القضاء والمؤسسة العسكرية بجيشها وشرطتها!!

أى أن العسكر والقضاء خط أحمر!!

لكن المحقق يأبى الانصياع لمطالب النائب والتى تصل إلى حد التهديد ويقوم باستدعاء كافة المتهمين بدءا من البلطجية والذين ينتمى معظمهم لحركة مسيحية متطرفة تدعى كروك وانتهاء بالجنرالات الكبار، مما يذكرنا باستدعاء المشير واستجوابه والمدهش أن الفيلم فرنسى وأن قانون بلادنا معظمه فرنسى!!

حتى الفوتو شوب الذى خرج علينا العكاشيون به لم يغب عن الفيلم، فحين عرض المحقق على المأمور صورة له مع القاتل — والذى حاول قتل الشهود بعد مقتل البروفيسور— كدليل قال إنها صورة ملفقة ليبدأ بعدها مهرجان البراءة وقتل الشهود لينتهى الفيلم بأن يأخذ العسكر لفت نظر، وأما القتلة من البلطجية فأخذوا أحكاما مخففة لا تزيد عن أربع سنوات، بل

وأخذ بعضهم غرامة، مما يذكرنا ببلطجية أحداث قنا وبالمخبرين اللذين قتلا خالد سعيد وببراءة بلطجية السيدة.

وأخيرا ينتهى الفيلم باستقالة الحكومة وتولى الجيش السلطة وبسيطرة التيار الدينى

الذى يحظر الشعور الطويلة للرجال والجونلات القصيرة للنساء وفوق هذا وذاك حظر المظاهرات ، والرقابة على المطبوعات وتحريم كتاب بعينهم مثل سوفوكليس وأرسطو وتولستوى والرياضة الحديثة بل وحظر استعمال حرف Z الذى ينطق باليونانية "زي" وهى كلمة معناها إنه حى!!

جريدة الواقع الاليكترونية

٢٧ مارس ٢٠١٢

قبل أن يقفز الأرنب الجائع

كانا يحتفلان بعيد زواجهما، ولم يلتفتا لنشرة الأخبار الـتى تحكى عن المزيد من الجنون، فلا شأن لهما بهذا الجنـون، فهـى عازفة تشيللو وهو مدرس لغة انجليزية بإحدى المدارس الثانويـة بمدينة نيوأورليانز. وبعد تمام احتفالهما بذكرى زواجهما السعيد كما ينبغى لأى عاشقين، استيقظا ليمضى كل منهما إلى عملـه، ولأن بروفاتها تتأخر، فهو يقطع الوقت بلعب الشطرنج مما جعله يغلق هاتفه حتى ينتهى من المباراة وحتى تنتهى هى من بروفتـها، وحين يفتح الهاتف يفاجأ بعدة مكالمات منها لم يتم الرد عليهـا وليجدها فى المستشفى محطمة ومشوهة بعد تعرضـها لحـادث اغتصاب بشع.

وهنا نقطة التحول الدرامى، إذ يجد من يقترب منه ويواسـيه ويعرض عليه خدماته دون مقابل، وبالاستفسار عن نوع الخدمة يعرف أنه القصاص بالقتل، وذلك لأن الفاعل سبق له ارتكـاب هذه الجريمة ولم يتب، وأن المدينة تغرق فى الفوضى لبطء العدالة وكذلك لعدم ردعية القصاص، وبعد تردد يوافق على أن يتـولى ذلك المجهول القصاص لزوجته فى مقابل خدمة مثل ارسال بريد

أو إجراء مكالمة، ولن تتم المطالبة بهذه الخدمة فى حينها، بل حين يكون مؤهلا لذلك بعد أن يتعافى الزوج والزوجة من ملمتهما.

أما الزوجة فتخرج من المستشفى وهى فى حالة من الـذعر والوسواس إلى درجة أنها تذهب لتلقى دروس فى الرماية وتقتنى سلاحا دون علم زوجها، وبالفعل تـصله أى الـزوج صـورة المغتصب وهو مقتول ومعها السلسلة التى كان قد انتزعها مـن رقبة الزوجة أثناء اغتصابه لها.

وبعد ستة أشهر يستحق الدين الذى فى عنق الزوج لسيمون الذى خلصه من مغتصب زوجته، وبعد سلسلة مـن الأوامـر الغريبة مثل التوجه فى موعد محدد لصندوق بريد وخلافه، يعلـم أن مهمته الحقيقية هى الاقتصاص من مغتصب للأطفال بقتلـه، ولكنه يتردد فى التنفيذ لأن القتل ليس من طبيعته بل ويندم على التعاون مع سيمون، إلا أن سيمون يبدأ فى تهديده بقتل زوجته لو لم يسدد دينه ألا وهو قتل الرجل المطلوب.

إلى هنا ولا يعنينى بقية الفيلم والذى يحمل عنوان البحث عن العدالة Seeking Justice للمثل الأمريكى الـشهير نيكولاس كيج وهو من انتاج ٢٠١١، وكذلك لا أود أن أحرق بقية الأحداث لمن يرغب فى مشاهدة الفيلم. ما يعنينى هاهنا هو أهالى الشهداء الذين توعدوا بالقصاص لأبنائهم من القتلة لـو لم ينصفهم القضاء، وخاصة فى مدينة السويس.

وها نحن نرى مهرجان البراءة الذى يظلل القتلــة ليكــوى صدور الثكالى من الآباء والأمهات والإخوة المكلــومين بفقــد أحبتهم منذ اندلاع الثورة وحتى يومنا هذا، ونسمع الوعيد من أهالى هؤلاء الشهداء ونتجاهل الخطر المحدق بالبلاد، فليست كل نفس بقادرة على القتل حتى ولو كان للثأر، فتباطؤ العدالة يزيد الأرنب جوعا نحو القفز باتجاه القصاص وليكن ما يكون.

المجتمع المصرى فى خطر لو بدأ الناس فى القصاص بأنفسهم، لأن من يقتل تتشوه نفسيته إلى الأبد، فهل من مدكر؟

أيها القضاء المصرى أفق، فمستقبل البلاد أمانة فى يديك، قبل أن يأتى يوم وتصلك رسالة تقول الأرنب الجائع يقفز.

The hungry rabbit jumps... humanity, .reason, and justice

الإنسانية والعقل والعدالة تستوجب القصاص العادل الناجز.

٤ ابريل ٢٠١٢

جريدة الواقع الاليكترونية

المزز والحرب النفسية

مع احتدام الجدل حول القاتل والخائن وأيهما أهـون علـى الناس، برز سلاح "المزز" بشكل قـوى ومتـشعب فى كافـة الاتجاهات. بدءا من الفضائح الأخلاقية لترهيب الناس وتبغيضهم فى التيار الدينى المكروه أصلا لدى الكثيرين، ولشغلهم بقـضايا ثانوية فردية ومحاولة تعميمها مع الخلط الواضح بين أطياف التيار الدينى كله، ومرورا بصفحات "المزز" الباحثـات عـن الحـب الحقيقى على صفحات الفيسبوك!!

وتتميز هذه الصفحات بصور ساخنة لفتيات تهوى الطـراوة وكل ما هو مفتوح على البحرى، فى محاولة لصرف الشباب عن قضيتهم الرئيسية وهى تقرير مستقبلهم وتشكيل ملامحه، وهـى مسألة طرحت فى أكثر من موضع واتخـذها الكـثيرون مـادة للسخرية ولا بأس من مضمضة العين بما يجدن به من محاسن على خلق الله دونما التزام حقيقى من الشباب المستهدف بهذه الحرب.

وأخيرا تنتشر أخطر هذه الأسلحة، والتى يتداولها الـشباب دون وعى منهم بالحرب النفسية الكامنة خلفهـا، مـن عينـة مشجعات الدورى الأوروبى من الحسناوت ومقارنتهن بالصنادل الملقحة فى البيت حسب تعبير بعضهم، وانتهاء بصور لفتيـات

قبيحة المنظر شرسة الملامح باعتبار أن هؤلاء هن مشجعات مصر البائسات، والبائسون للبائسات وجتنا نيلة فى حظنا الهباب، الخ هذه النغمة المغرضة، التى استتبعها بالضروروة ردود من بعض الفتيات يعيرن فيها الشاب المصرى بكرشه وهندامه أو بهزاله. ولنتوقف قليلا هاهنا، فقد أصبح الأمر تنابزا بين شريكى الثورة وهو الهدف المباشر من الفرقة التى أصبحت سمة لا تخفى على أحد بين كل طيف وآخر.

أما الغرض الأكثر خطورة فهو كسر حالة العزة والاعتزاز التى جعلت المصرى يقول يوما : ارفع راسك فوق انت مصرى. وغرس الشعور بالدونية واحتقار الذات واحتقار الوطن والوطنية ليهون الوطن بعدها ومن ثم تتراجع سبل النضال والفداء التى بذل من أجلها خيرة شبابنا دماءه ونور عينيه فضلا عن غرس السطحية والتفاهة فى النفوس واعتماد المعايير الجسدية والشكلية التى لا خيار لأحد فيها أداة للحكم على الناس، رفقا بمصريتنا وتأملوا.

١١ يونيو ٢٠١٢

وبعد عزيزى القارئ

كانت السطور الفائتة والمكتوبة على مدار ثلاث سنوات أو أكثر قليلا، مجرد محاولات للفهم وللرد على التساؤل المضنى... هل سقط الإله؟

سامية أبو زيد

٨ سبتمبر ٢٠١٢

القاهرة ــ مصر الجديدة (أو كذلك أتمنى)

الفهـــرس